

المجلد الرابع والخمسون الشتاء (يوليو - ديسمبر ٢٠١٩م / شوال ١٤٤٠هـ - ربيع الثاني ١٤٤١هـ) العدد الثالث والرابع



مجمع البحوث الإسلامية
الجامعة الإسلامية العالمية - باكستان



الدراسات الإسلامية

محاور المجلة

القرآن الكريم : تاريخ التفسيروعلوم القرآن.

الحديث النبوي: تاريخ الحديث وعلوم الحديث.

الفقه وأصوله: تاريخ الفقه وأصول الفقه والأحكام الشرعية.

التاريخ الإسلامي: التاريخ، مصادر التاريخ، والمباحث الحديثة.

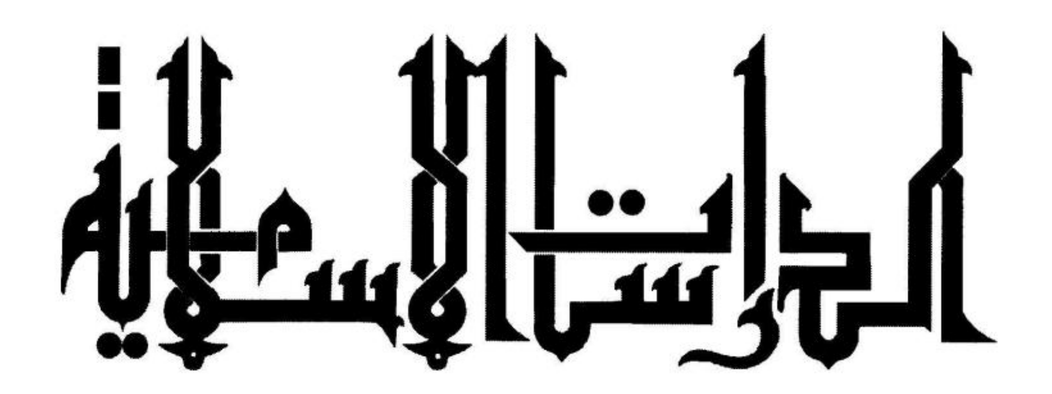
الثقافة الإسلامية: تاريخ الثقافة والحضارة وأسسها والتحديات الثقافية والحضارية المعاصرة.

الإسلام والغرب: التقاليد الفكرية والعلمية، والمقارنة الثقافية، والقضايا المعاصرة.

اللغة العربية والأدب العربي: اللغة العربية وآدابها وعلومها.

دراسة الأديان: تاريخ الأديان والمذاهب والحوار بين الأديان.

القضايا المعاصرة: القانون الدولي وحقوق الإنسان والمرأة، والتحديات الاقتصادية المعاصرة، والقضايا السياسية المعاصرة.



فصلية محكّمة

تبحث في الدين والثقافة والتاريخ والآداب



مجمع البحوث الإسلامية

الجامعة الإسلامية العالمية

إسلام آباد - باكستان

(يوليو ٢٠١٩م – ديسمبر ٢٠١٩م / شوال ١٤٤٠هـ – ربيع الثاني ١٤٤١هـ)

المجلد الرابع والخمسون – العدد الثالث والرابع ٢٠١٩م



المجلد الرابع والخمسون – العدد الثالث والرابع

(يوليو ـ ديسمبر ٢٠١٩م / شوال ١٤٤٠هـ ـ ربيع الثاني ١٤٤١هـ)



الآراء الواردة في البحوث لا تعبّر بالضرورة عن موقف المجلة أو المجمع

عنوان المراسلات: مدير (مطبوعات) مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، صندوق البريد: ١٠٣٥، إسلام آباد

الدراسات الإسلامية

(أسست عام ١٩٦٥م)

التعريف بالمجلّة:

مجلة الدراسات الإسلامية هي مجلة علمية محكّمة أسست عام ١٩٦٥م، وتنشر من قبل مجمع البحوث الإسلامية، وتصدر كل ثلاثة أشهر، وتعدّ من أهم المجلّات البحثية المعروفة في مجال العلوم الإسلامية واللغة العربية، ولذا تجد قرائها من جميع أنحاء العالم، ويتم استعراضها من قبل النظراء دوليا، وكثير من المساهمين فيها من العلماء المعروفين في مجالاتهم دوليا.

إن هذه المجلة تعنى بنشر بحوث مبتكرة، تناقش المسائل المتعلقة بجميع التخصصات من العلوم الاجتماعية والاقتصادية وخاصة بالعلوم الإسلامية مع تعدد مجالاتها وفروعها واللغة العربية وآدابها، كما ترغب هذه المجلة في عرض الأفكار الأصيلة حول القضايا المعاصرة وحلولها المستمدة من تعاليم الدين الحنيف والنظرية الإسلامية واستمرارية تجربتها التاريخية. وفي نفس الوقت تهتم المجلة بالبحوث التي تعنى بإحياء التراث الإسلامي التليد والتي بها يتعرف الخلف على أمجاد السلف وأعمالهم العلمية وإنجازاتهم الفكرية والحضارية.

تدعو المجلة السادة الأساتذة الباحثين في مجالات شتى من العلوم الإسلامية واللغة العربية أن يسهموا في هذه المجلة العربية التي تصدر من باكستان ببحوثهم وأفكارهم القيّمة. كما تدعو إدارة المجلة الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية والشخصيات الراغبة إلى الاشتراك في هذه المجلة العلمية العربية التي تصدر من باكستان بانتظام منذ عام ١٩٦٥م. يرجى من الباحثين الكرام أن يرسلوا إضافة إلى عناوينهم العادية عنوان بريدهم الإلكتروني (Email)، أما عنواننا الإلكتروني فهو: E-mail: **dirasat@iiu.edu.pk** وكذلك يمكن التسجيل لتقديم البحوث على الموقع لمجلة إلكترونية: **http://irigs.iiu.edu.pk:64447/ojs/index.php**

تسجيل المجلة في الوكالات والهيئات العلمية

الجدير بالذكر أن المجلة **"الدراسات الإسلامية"** معترف بها لدى أبرز جامعات العالم الإسلامي لترقية أعضاء هيئة التدريس: وهي معترف بها كواحدة من أبرز المجلات البحثية للعلوم الإسلامية واللغة العربية والتخصصات المرتبطة بها في ميادين العلم، هذه المجلة قد وضعت المعايير الأكاديمية الدولية منذ ستين سنة.

وهي معترف بها لدى هيئة الدراسات العليا (HEC) لباكستان بدرجة (Y) عن طريق الإخطار رقم: 1(133)R&D/RJ/HEC/2017/148 بالتاريخ: ٩ أغسطس ٢٠١٩م.

علاوة على ذلك، إن مجلة الدراسات الإسلامية مسجلة (Indexed) لدى المؤسسات والهيئات والوكالات التالية:

١ : "المنهل" **(A UAE database)** وبوساطة "المنهل" تفهرس في **(EDS: EBSCO Discovery)** و **Summon (web discovery service)**

٢ : **Australian Islamic Library: www.australianislamiclibrary.org**

٣: **Islamic Research Index, AIOU**

٤ : **(Ulrich International Periodical Directory)** برقم: **ID: 32489**

٥ : والمساعي مستمرة لفهرسة مجلة الدراسات الإسلامية في:

Directory of Open Access Journal,
JSTOR, ALTA Religion Database and Theological Abstarcts, USA

قواعد النشر بالدراسات الإسلامية:

بما أن المجلة من المجلات التي تعتبر محكّمة ومواضيعها قابلة للنشر، فقد وضعت هيئة التحرير المعايير التالية لنشر البحوث فيها، وهي كالآتي:

١ : تقديم خلاصة البحث باللغة الإنجليزية في حدود مائة وخمسين كلمة مع النص العربي للبحث.

٢ : أن يتّسم البحث بالأصالة والإبداع من حيث عرض الأفكار والآراء أو من ناحية كشف النقاب عن حقائق جديدة غير منشورة أو غير معلومة من قبل، وأن لايكون البحث مستخرجا من كتاب مطبوع.

٣: أن يراعي الكتّاب قواعد البحث العلمي ومعاييره المعروفة.

٤ : أن يلتزم تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مع بيان مصادر الأحاديث الأصلية ورواتها وجميع المعلومات اللازمة للإحالة من حيث الإشارة إلى مؤلف الكتاب ومحققه ودارالنشر وتاريخه والطبعة ورقم الجزء والصفحة.

٥ : أن تكون المادة العلمية مكتوبة بخط واضح، وفي صفحة واحدة، وحبذا لو كانت مكتوبة عبر الحاسب الآلي ويقدم في قرص(CD) مع نسخة من البحث المطبوع.

٦ : أن يرفق الكاتب مع النص لمحة من سيرته الذاتية (للمرة الأولى فقط) مع العنوان الدائم للمراسلة.

٧: تخضع البحوث المرسلة للتحكيم إلى لجنة مكونة على الأقل من اثنين من الأساتذة المتخصصين من داخل باكستان وخارجها في هذا المجال قبل الموافقة على نشرها، و من ثم ترفع إلى هيئة التحرير وهي التي تملك القرار الأخير بالموافقة على النشر أوالاعتذار عنه دون ذكر السبب.

٨: تحتفظ المجلة لنفسها حق التصرف في النص حذفا، أواختزالا أوإعادة صياغة بما يناسب أسلوبها في النشر.

٩: أن تكون المحتويات مشتملة على مادة علمية تراثية أو تحمل أفكاراً معاصرة ذات مضمون تحليلي نقدي مع توفيركافة المعلومات التوثيقية عن المراجع لجميع المعلومات والبيانات الواردة في البحث، (المؤلف، العنوان، مكان الطبع، وتاريخ الطبع، السلسلة، الصفحات، الخ) وإدراجها في الهامش تحت نص البحث في كل صفحة.

١٠: ألا تكون البحوث قد نشرت من قبل، ولا أرسلت إلى مجلة أوهيئة أخرى لغرض النشر.

١١: سوف يتم إبلاغ الباحث بتسلم بحث ثم يليه ـ بعد مدة مناسبةـ إشعاره بقبوله للنشر في حالة الموافقة عليه.

١٢: لايجوز إعادة نشر أي مادة من مواد المجلة إلا بإذن كتابي من رئيس التحرير.

١٣: البحوث التي لم تقبل للنشر لا ترد إلى أصحابها ويكتفى بالإخبار عن ذلك.

١٤: ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه فقط ولايمثل رأي المجلة أو المجمع بالضرورة.

١٥: لا تتجاوز عدد صفحات البحث خمسين صفحة ولا تقل عن عشرين صفحة، في كل صفحة حوالي ثلاثمائة وثلاثين كلمة.

١٦: تقدم خمسة وعشرون مستلا من البحث المطبوع إلى الكاتب مع نسخة من المجلة.

طرق الإحالة:

١: تخريج الآيات القرآنية:

يذكر اسم السورة ورقم الآية في تخريج الآيات القرآنية.

مثال: سورة الدخان، الآية: ٣٨

٢: تخريج الأحاديث النبوية:

يذكر الأحاديث النبوية مع بيان مصادر الأحاديث الأصلية ورواتها وجميع المعلومات اللازمة من محل الطبع وتاريخ الطبع ورقم الجزء والصفحة.

مثال: أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في قتل الذر، رقم الحديث: ٥٢٦٨ (الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٩٩م) ط١، ج ١ص٩٥١.

٣: كتاب:

أن تكون إحالة الكتاب بوضع اسم المؤلف الشخصي واللقب، ويرد بعد هذا اسم الكتاب، وأن يُبين مكان طبع المصدر، وتاريخه، ورقم المجلد إذا كان متعدد المجلدات، ورقم الصفحة. أما إذا اشترك في تأليف الكتاب ثلاثة أو أربعة فينبغي أن تذكر أسماء الجميع، ولو اشترك في تأليف الكتاب أكثر من أربعة ذكرت اسم من اشتهرت صلة الكتاب به أكثر من سواه.

المثال الأول: أبوالسعود محمد بن محمد الحمادي، **إرشاد العقل السليم**، (بيروت: دارإحياء التراث العربي، ١٤٤٠هـ) ط١، ج ٤ ص ١٦٠.

المثال الثاني: أبوالسعود محمد بن محمد الحمادي، **إرشاد العقل السليم**، (بيروت: دارإحياء التراث العربي، بدون التاريخ والطبع)، ج٤ص١٦٠.

المثال الثالث: المصدر السابق، ج٢،ص١٤٠.

٤: البحث العلمي:

إذا كان الاقتباس من مجلة أو صحيفة، فيجب أن تشمل: اسم مؤلفه وعنوان المقال واسم المجلة ورقم المجلد والعدد وتاريخه كما يلي.

مثال: محمد كريم إبراهيم، "العلاقات التجارية بين عدن والهند"، مجلة **الدراسات الإسلامية**، المجلد: ٥٤، العدد: ٢، عام: ٢٠١٧م، ص١٥٠.

٥: المجلات الإلكترونية:

إذا كان الاقتباس من المجلة الإلكترونية فيجب أن تشمل: اسم المؤلف،عنوان المقال، اسم المجلة ورقم العدد التاريخ.

٦: المواقع الشبكية:

"Mcdonald's Happy Meal Toy Safety Facts" Mcdonald's corporation accessed July 19, 2008. http://www.mcdonalds.com/corp/about/factsheets.html.

٧: الموسوعات:

CH. Pellat, "Hayawan" in the encyclopedia of Islam, ed, B Lewis, V.L.Menage, CH pellate and J. Schaacht(Leiden: E.J.Brill, 1986)3: 307

رئيس التحرير، مجلة الدراسات الإسلامية

مجمع البحوث الإسلامية

الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، باكستان

المحتوى

ضيوف العدد

صاحب عالم الأعظمي الندوي
باحث في مركز حسن بن محمد للدراسات التاريخية، قطر.

***

سارة بنت عبد المحسن بن سعيد
أستاذة مساعدة بقسم الدراسات الإسلامية،
جامعة الملك سعود.

***

ذاكرة جهانتاب
المحاضرة بكلية اللغة العربية،
الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

***

فرح ناز
طالبة الدكتوراه بكلية اللغة العربية،
الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

***

شيراز بولاتوف
طالب الدكتوراه بكلية الشريعة والقانون،
الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

***

مديحة صادق
محاضرة بكلية اللغة العربية،
الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

***

محمد أسد
محاضر زائر بكلية الشريعة والقانون،
الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

***

رابعة راني
طالبة الدكتوراه بكلية اللغة العربية،
الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

***

محمد إبراهيم سعد النادي
أستاذ مشارك بكلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، مصر.

***

الحياة الدينية والعلمية في الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري: دراسة تـاريخيّة في ضوء كتاب (زاد المتقين في سلوك طريق اليقين)

صاحب عالم الأعظمي الندوي*

مُقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّد المرسَلين، وخاتمِ النبيّين مُحمَّدٍ، وعلى آلِه وأصحابِه أجمَعين. أما بعد!

فإنه من المعروف تاريخيًا أنَّ للهند علاقات تاريخيَّةً موغلةً في القِدَم مع العالَم، لاسيّما الخليج العربيّ والحجاز. وكانت التجارةُ هي الخيطُ الأول الذي ربطَ الهندَ، من خلال مناطقها السّاحليَّة الغربيَّة وموانيها العديدة المُطلَّة على بحر الهند، مع هذه الدولِ الواقعة على البحر الأحمر والخليج العربيِّ. وقد قويَت هذه العلاقاتُ مع دول الخليج والحجاز بعد انتشارِ الإسلام في الهند، ورسخَتْ بعدما صارت الهند دولةً إسلاميَّة. ولقد اختار اللهُ سبحانَه وتعالى أنْ تكونَ الجـزيرة العربيَّة مهبطَ الوحي ومصدرَ الإسلام، وخصَّها برسولِه وخاتمِ أنبيائه محمد صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ من بين الرُّسل والأنبياء الآخرين، وأنعم عليها فجعلَ مكة بلده الحرام، وكعبتَها المشرَّفة قبلةً للمُسلمين، والمسجدَ النبويَّ صلّى اللهُ على صاحبه وسلَّم ثالثُ المساجد التي تُشَدُّ لها الرحال. ومنذُ ذلك الوقت ينظر المُسلمون إليها على أنها وطنٌ ثانٍ لهم، ويأتون إليها من شتّى أنحاء العالم سواء كانوا حجاجًا أو معتمرين أو زائرين؛ لكسْب العلم والمعرفة بهذه المقدَّسات التي صارت نقطةَ اجتماع العلماء من شتى أقطار العالمِ الإسلاميِّ، ومنها الهند التي كان المُسلمون بها،ولا يـزالون يتعلَّقون بهذه الأرض المقدسة، ويحبّونها من أعماق قلوبهم، ولم تخلُ منهم رحلاتُ الحج والعمرة والعلم والمعرفة منذ قرونٍ، وحتى يومنا هذا.

---

* باحث في مركز حسن بن محمد للدراسات التاريخية، قطر.

وقد ازدهرَت العلاقاتُ السياسيَّة والثقافيَّة بين الطرفيْن خلال العصور الإسلاميَّة كلِّها، خصوصًا القرنيْن التاسع والعاشر الهجريْن؛ حيث نشطَت العلومُ الإسلاميَّة في الهند بسبب وفود العلماء من الحرميْن الشريفيْن الذين أسهَموا بدورهم في النهضة العلميَّة للمُسلمين في الهند، وفي نشْر علوم الحديث بالدرجة الأولى. ثم وفَّق الله سبحانه وتعالى بعضَ العلماء من أهل الهند الذين شدّوا رحالَهم إلى الحرميْن الشريفيْن في القرن العاشر الهجريِّ وما بعده، بهدف التضلع من العلوم الإسلاميَّة والتفقه في الدين، وأخذوا علومَ الحديث والفقه، ورجعوا به إلى الهند؛ فانتفع بهم خلقٌ كثيرٌ من خلال المدارسِ الإسلاميَّة، ونشْر التراث الإسلاميُّ وترجمته إلى اللغاتِ المحليَّة. وكان منهم، على سبيل المثال، الشيخُ عبدالحق المحدّثُ الدهلويُّ (٩٥٨-١٠٥٢هـ/ ١٥٥١-١٦٤٢م)، الذي حاول تصحيح العقائد الإسلاميَّة مما خالطَها من مفاهيم خاطئة، والدعوة إلى القرآن والتمسُّك بالسُّنة النبويَّة، وأفنى حياتَه في سبيل نشْر الحديث والسُّنة المشرَّفة، والدعوة إلى التوفيق بين الحديثِ والفقه، والجمْع بين المذاهب على أساسِ الحديث، هذا إلى جانب تأهيلِ الكوادرِ الخاصَّة الذين أسهَموا في نشْر الحديث النبويِّ، وترويجه، وإحياء دروس الحديث والعناية بهذه الفنون، ومن ثَمَّ تمكَّنوا من تأليف شروحِ كُتب الصِّحاح الستَّة، وترجمتها إلى اللغاتِ المحليَّة، فكثرَتْ مؤلفاتُ علماء الهند في الحديث، وكذلك تَراجم مشاهير الإسلام من الصَّحابة والتابعين وعلماءِ الحديث والتفسير في العصور التالية.

وتجدُر الإشارة هنا، إلى أنَّ الكثير من زوّار الحرميْن الشريفيْن دوَّنوا مشاعرَهم وانطباعاتهم عنها إمّا خلال وجودهم فيها، أو في أثناء رحلتهم إليها ذهابًا وإيابًا. وبعضهم دقَّقوا في وصفها جغرافيًا وأحداثها السياسيَّة والاقتصاديَّة، وتطوّرها الثقافيّ والدينيّ والفكريّ. وصارت هذه الانطباعاتُ المسطورة في مذكِّراتهم جـزءًا مهمًا من تاريخ الجـزيرة العربيَّة وحضارتها. ومن بين الزائرين الذين هوَتْ قلوبُهم إلى الحرميْن الشريفيْن لأداء مناسك الحج والعمرة، واكتساب العلم والمعرفة ، لاسيما علوم الحديث والسلوك والمعارف الشيخُ عبدالحقِّ المحدّث الدهلويّ، الذي سافر إلى الحرميْن الشريفيْن في عام ٩٩٦هـ/ ١٥٨٨م، بعدما أخذ حظًا وافرًا من جميع العلوم العقليَّة والنقليَّة في الهند.

وقد مكثَ في الحرميْن الشريفيْن أربعَ سنوات، أخذَ خلالها عن كبار المحدّثين، وقرأ عليهم كُتبَ الأحاديثِ الشريفة في مكّة والمدينة. وأجازوه جميعًا إجازةً عامّة، وأثنوا عليه وعلى ما بذل من المجهوداتِ المُضنية في تحصيل علوم الحديث. وخلال وجوده في الحرميْن الشريفيْن، بدأ في تدوين رحلته العلميَّة في كتاب سمّاه "زادُ المتقين في سلوكِ طريقِ اليقينِ"، وانتهى منه في الهند بعد العودة من الحرميْن الشريفيْن عام

١٠٠٠هـ/ ١٥٩٢م. وقد دوّن فيه تراجمَ علماء وشيوخِ الحرميْن الشريفيْن، الذين كانوا يقطنون فيهما، مع ذكر إسهاماتهم الجليلة في نشْر العلوم الإسلاميَّة، إلى جانب ذكر علاقة العلماء والصوفيَّة مع بعضهم بعضًا في الحرميْن الشريفيْن. وقد كتب الشيخ المحدثُ الدهلوي كلَّ ذلك بناءً على مشاهدته الشخصيَّة خلال وجوده هناك. وقد كتبَه باللغة الفارسيَّة، وقام بنقله إلى الأرديَّة البروفيسور مسعود أنور في جامعة عليكر الإسلاميَّة في الهند. سيأتي ذكرِ الكتاب بالتفصيل في الصفحاتِ القادمة. ولهذا الكتاب نسخٌ مخطوطة في بعض المكتباتِ الهنديَّة.

هذا، وسيتضمنُ البحثُ النقاطَ التالية:

أولًا: ترجمة الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوي، وإسهاماته في تطوير العلوم الإسلاميَّة في الهند بإيجاز.

ثانيًا: تعريف كتاب "زادُ المتقين في سلوكِ طريق اليقين".

ثالثًا: الحياة الدينيَّة في الحرميْن الشريفيْن، كما جاء في كتاب "زادُ المتقين في سلوك طريق اليقين".

رابعًا: الحياة العلميَّة في الحرميْن الشريفيْن، كما جاء في كتاب "زاد المتقين في سلوك طريق اليقين".

أولًا: ترجمةٌ شخصيَّة الشَّيخ عبدالحق المحدث الدهلوي

تنتمي أسرةُ الشيخِ عبدالحقِّ المحدّث الدهلويّ إلى منطقة بُخارى في آسيا الوسطى. وغادر جدُّه الأعلى، آغا محمد تُرك المتوفّى عام ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م بلدَه إثرَ سقوط هذه المنطقةِ بيد المغولِ الهمجيّين وخرابها ودمارِها. ووصل إلى الهند خلال عهد السلطانِ علاءِ الدين الخلجي المتوفّى عام ٧١٦هـ/ ١٣١٦م[١]. وكان والدُه الشيخُ سيفُ الدين بن سعد الله المتوفّى عام ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م، عالمًا وصوفيًا من الطريقة الصوفيَّة القادريَّة[٢]. وكان معروفًا بين الناس بالعلمِ والفضل، وبالصَّلاح والتَّقوى، وكان لديه اهتمامٌ كبيرٌ بقرْض الشِّعر والأدب، بجانب عنايته بعِلم الحديثِ والعلوم الشرعيَّة الأخرى[٣].

١- شيخ عبدالحق المحدث الدهلوي، **أخبار الأخيار في أسرار الأبرار** (ديوبند: مكتبة رحمانيَّة، بدون تاريخ)، ص٣٠٤-٣٠٥.

٢- توفي جده الشيخ سعد الله عام ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م وكان عمر والد الشيخ المحدث ثماني سنوات آنذاك. انظر: **زاد المتقين**، ص٢٥.

٣- انظر: السيد سليمان الندوي"**الشيخ عبدالحق الدهلوي**"، مقالة منشورة في مجلة "معارف" الأرديَّة الصادرة عن دار المصنفين أعظم كره، الهند، عدد فبراير عام ١٩٢٩م، ص٨٧.

مولدُ الشيخ ونشأتُه:

وُلِد الشيخُ عبدُالحق المحدّث الدهلويّ في شهر مُحرَّم عام ٩٥٨هـ/ الموافق شهر يناير عام ١٥٥١م، في مدينة دهلي في عصر الدولة السوريَّة[٤]. وقد تلقّى بعضَ العلوم وقراءة القرآن في بيتِه على يدِ أبيه، وتعلَّم القراءة والكتابة. ثم أكملَ تعليمه تحت رعاية وإشراف علماء عصره. ووفقًا للمصادر انتهى من التعليم خلال سبع سنواتٍ بما فيها حفظ القرآنَ الكريم كاملًا خلال عام ونصف. وقد كرَّس حياتَه منذ نعومة أظفاره لتحصيل العلم، وما كان يضيع وقتَه في اللَّعب والمرح مثل الأطفال الآخرين[٥]، وكان دائمَ الاشتغال مكبًا على المطالعة والقراءة في الليالي المتأخرة، لدرجة أنه قد احترقت عمامته غير مرة بالسراج الذي كان يجلس أمامه للمطالعة؛ فما كان يتنبه له حتى تتصل النار ببعضِ شعرِه[٦].

طلبُه للعلم في الهند:

بعد الانتهاء من المرحلة الأولى من الدراسة، أقبل الشيخُ على تعلُّم اللغة العربيَّة والفارسيَّة، وتلقّي العلوم الدينيَّة والعقليَّة من علماء دهلي. وبعد الفراغ من تحصيل العلوم على يد والدِه وأيدي علماء دهلي توجّه إلى لاهور، واجتمع بكثير من الشيوخ الآخرين واستفاد منهم علميًا وسلوكيًا، والذين دعَوا له بالبركة والتوفيق والتسديد[٧]. وبعد التفرغ انتقل إلى فتح بور سيكري عاصمة الدولة المغوليَّة في عهد السلطان أكبر.

٤- أسَّسها السلطان فريد خان الملقب بشير شاه سوري، المتوفى عام ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م. ويُعدُّ من أشهر السلاطين المُسلمين في الهند. وكان من أصول أفغانيَّة. وقد تمكَّن من تأسيس دولته في شمال الهند في عام ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م، بعد إلحاق الهزيمة بالسلطان المغولي همايون المتوفى عام ٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م، وعُرِفَت أسرته الحاكمة باسم "سور". وقد أسهم في تطوير البلاد اقتصاديًا، وإداريًا، وزراعيًا وغيرها. انظر: ترجمته في عبدالحي الحسني، **الإعلام بمَن في تاريخ الهند من الأعلام** (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ج١، ص٣٥٣-٣٥٥؛ راجع ترجمة السلطان همايون في عبدالحي، المرجع السابق نفسه، ج١، ص٤٤٤.

٥- انظر: نسيم أحمد الفريدي، **"الشيخ عبدالحق حقي المحدث الدهلوي"**، مقالة منشورة في مجلة ثقافة الهند، (١٩٩٢م)، عدد١، مجلد٤٣، ص٥٢.

٦- انظر: عبدالحي الحسني، **الإعلام**، ج٢، ص٥٥٣-٥٥٧؛ أيضًا، نسيم أحمد الفريدي: **الشيخ عبدالحق**، ص٥٣.

٧- ومن هؤلاء الشيوخ الشيخ الشاه أبو المعالي رحمه الله، الذي سعد بزيارة الشيخ المحدث والاجتماع به في مدينة لاهور، ولما قرر الشيخ المحدث الرجوع دارَ بينهما حديثٌ ذكَره الشيخ المحدث في كتابه، **"المكاتيب والرسائل**، ص٣٠٦، جاء فيه: "قال لي يومًا: أردتُ العودة الآن، وسأحاول إكمال شرح المشكاة، الذي سوف يكون بمشيئة الله تعالى كتابًا يفيد منه العالم أجمع، ودعا الله لي بالتوفيق والنجاح..." راجع نسيم أحمد الفريدي، **الشيخ عبد الحق حقي**، ص٥٤.

وكان على اتصال وثيق مع الأديب والعالم أبي الفيض الفيضي، والمؤرخ نظام الدين البخشي صاحب طبقات أكبري[٨]. ولكنه على ما يبدو، لم يجد البيئة العلميَّة المنشودة في البلاط الملكيِّ، حيث إنَّ السلطان أكبر كان بصدَد تأسيس الإدارة الجديدة ذات الجذور اللادينيَّة، والتحرريَّة، بعيدًا عن الدين الإسلاميِّ التقليديِّ[٩]، فإنَّ البيئة الدينيَّة والعلميَّة السائدة آنذاكَ في العاصمة لم تتفق مع الحالة النفسيَّة الهادئة التي أراد الشيخُ المحدث أنْ يعيشَها بعيدًا عن الصراع المذهبيِّ والفكريِّ مع العلماء والفقهاء، وعن الدخول في الخصومات الدينيَّة الدائرة بينهم؛ ومن ثم غادر العاصمةَ متوجهًا إلى دهلي على الرغم من أنه تلقّى ترحيبًا حارًا من العلماء في العاصمة أكرا. واشتغل لبعض الوقت بالتدريس والإفادة في دهلي قبل رحلته العلميَّة إلى الحجاز[١٠].

رحلتُه إلى الحجاز في طلب العلم:

لاشكَّ أنه كان يرغب في السفر إلى الحجاز بغية أداء فريضة الحجِّ، وقضاء بعض الوقت فيها لتحصيل العلم والمعرفة لاسيما علم الحديث، ولكن البيئة غير الدينيَّة والعلميَّة في الهند دفعتْه للتعجيل باتخاذ قرار السفر إلى الحجاز. وقد وصف تلك البيئة غير الصالحة وتأثيرها السلبيِّ للغاية على النفس والقلب،

٨- عبدالقادر البدايوني، **منتخب التواريخ**، ترجمة أرديَّة: عليم أشرف خان (دهلي: قومی کونسل اردو، ٢٠٠٨م) ج٣، ص٤٥٨.

٩- عن قيام السلطان أكبر بتأسيس المذهب الجديد، الذي يُعرف في التاريخ الإسلامي الهندي بـ"الدين الإلهي أو الأكبري" راجع محمود أحمد غازي"**الدين الإلهي الأكبري**" مجلة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، (جمادى الأولى عام ١٣٩٩هـ/ الموافق أبريل عام ١٩٧٩م)، الجزء الثاني، المجلد الرابع والخمسون، ص٤٥٥-٤٨٢.

١٠- انظر: البدايوني، **منتخب التواريخ**، ج٣، ص٤٥٨-٤٦١؛ ووفقًا للمصدر السابق، كان مؤلفه معاصرًا للشيخ، وقابله مرارًا وتكرارًا قبل رحلته إلى الحجاز، وبعد عودته منها، يفيد أنه كانت تربطه صداقة حميمة مع المؤرخ والإداري خواجه نظام الدين الذي جهز له السفر من الكجرات إلى الحجاز، حيث إنه كان في الإدارة المغوليَّة فيها. أما الشاعر والأديب الشيخ فيضي فكان يريد أنْ يقوّي علاقته مع الشيخ الذي ما كان يرغب في ذلك، بسبب انحرافات فيضي في العقيدة الإسلاميَّة، ومساعدته للسلطان أكبر، والإدارة المغوليَّة على الانحرافات الدينيَّة وتحويلها إلى اللادينيَّة. وكان قد بعث برسائل عديدة إلى الشيخ للتواصل العلمي والمعرفي، ولكن الشيخ لم يرد عليه، وما كان يرغب أصلًا في تقوية صلاته بالسياسيين والإداريين. راجع المصدر السابق نفسه، ج٣، ص٤٦٠؛ ولترجمة ملك الشعراء فيضي راجع المصدر السابق نفسه، ج٣، ص٥٨٣؛ وعن ترجمة خواجه نظام الدين البخشي، انظر: عبدالحي، **الإعلام**، ج٢، ص٦٥٦.

فيقول: "لقد بدأتُ أعاني من الوحشة الغريبة في القلب مما جعلني مستوحشًا، ورأيتُ أنه لا يزيلها إلا السفرُ إلى الحجاز والحرميْن الشريفيْن، ولم يكن بيدي حيلة إلا اتخاذ القرار بالسَّفر بسرعة كبيرة...لزيارة قبر الحبيبِ رسولِ الثقليْن سيدِ الكونيْن، إمام الحرميْن، نبيِّ القبلتيْن، صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ"[11]. والسؤالُ الذي يطرح نفسه هو: لماذا كان يعاني تلك الوحشةَ، ولِمَ كان يشعر بأنَّه بلا حوْل ولا قوة؟ لما وصلَ الشيخُ إلى مكة المُكرَّمة، ذكَر أسبابَ تلك الوحشة في خدمةِ شيخه عبد الوهاب المتقي، فيقول: "يا سيدي! أنا رجلٌ نشأتُ منذ صغري في الرياضة للتعلُّم والتعبُّد، لم أعتَدْ صحبةَ الناس والاختلاط معهم والدخول فيهم، ولما حصل لي بفضل الله طرفٌ صالحٌ من ذلك، وقضيتُ وطَري وحاجتي، هنالك دعاني بعضُ أهل الحقوق إلى الخروج إلى أربابِ الدنيا؛ فأدركتُ سلطانَ الوقتِ والأمراء فاعتنوا بشأني ورفعوا مكاني، وأرادوا أنْ يُكثِّروا بي سوادَهم، ويحكموا ويعُدّوا بهذا الضعيف صورهم وموادهم فحماني اللهُ، ولم يتركْني معهم وأوجد في قلب عبدِه جذبةً هداها إلى هذا المقام الشريف"[12].

وعلى كلِّ حال، بعدما انتهى الشيخُ من تحصيلِ العلوم في الهند، قرر أنْ يرحلَ إلى الحجاز للحصولِ على مـزيدٍ من العلم والمعرفة لاسيما في مجالِ علم الحديث، حيث كان الحجازُ أكبرَ مركز علميٍّ في ذلك الوقت لتحصيلِ علم الحديث، بسبب وجودِ العلماء والأجلّاء المتخصصين في هذا المجال. وقد وصلَ الشيخُ إلى الكجرات في عام ٩٩٦هـ/ ١٥٨٨م لركوب السفينة المتوجِّهة إلى الحجاز، ولكنه قد فاته الأوان للركوب بسبب انتهاءِ موسم السفر، فما كانَ عليه إلا الانتظارُ لسَنَة مُقبلة[13]. وبعد وصولِه إلى مكة المُكرَّمة، أخذ علمُ الحديث عن كبار محدثيه وقرأ عليهم الصحيحيْن[14]، ثم دخلَ إلى زُمرة تلامذة الشيخ عبد الوهاب بن وليِّ الله المتقي[15]، وقرأ عليه **مشكاة المصابيح، ثم صحيح مُسلم**[16]، وأخذ أيضًا من بعضِ علماء الحديث

١١- انظر: عبدالحق المحدث الدهلوي، **زاد المتقين في سلوك طريق اليقين**، ترجمة أرديَّة: مسعود أنور علوي، (عليكره: جامعة عليكره الإسلاميَّة، ٢٠٠٩م)، ديباجه، ص٧٣.

١٢- انظر: المكاتيب والرسائل نقلًا من خليق أحمد نظامي، **حيات شيخ عبدالحق**، ص٨٨-٨٩.

١٣- انظر: خليق أحمد نظامي، **حيات شيخ عبدالحق المحدث الدهلوي**، (لاهور: مكتبة رحمانيَّة، أردو بازار، دون تاريخ) ص٩٣- ٩٤.

١٤- انظر: عبدالحق المحدث، **زاد المتقين**، ص٢١٢.

١٥- هو الشيخ عبدالوهاب بن ولي الله البرهانبوري ثم المكي المتوفى عام ١٠٠١هـ/ ١٥٩٢م. أحد علماء الهند الكبار في مجال الحديث وعلومه. وُلد ونشأ في مدينة "برهانبور" في جنوب الهند، وتُوفي بمكة المُكرَّمة. تجوّل في الهند والبلدان

الكبار، ومنهم القاضي عليُّ بن جار الله بن ظهيرة المكيّ[١٧]، الذي كتب عنه الشيخُ في المقصد الثالث في كتابه زاد المتقين. وأثنى عليه الشيخُ ثناءً حارًا، وكَتب كثيرًا عن أخلاقه وعلمه الغـزير وتضلُّعه من علوم الحديث والفقه وعن نشاطاته العلميَّة في الحرم المكيِّ، وقد منحَه الشيخُ عليّ بن جار الله إجازةً في الحديث النبويِّ بعد مشاركته في دروس **صحيح البخاريِّ**، وأكَّد الشيخُ الدهلويُّ على أنه يحبُّه جدًا ويكرمه ويُقدِّره. وكان يقولُ: والله أفادني منك أكثر من استفادتك مني. ولو سبَقني أحدٌ من الزملاء في قراءة الحديث، فكان يخاطبه قائلًا: يا قوم ماذا تقولون وأين أنتم؟ أنا أريد المجلسَ مع مثل هذا الرجل وأشرُف به"[١٨].

ووفقًا لقول الشيخ الدهلويِّ، لما حرّر الشيخُ عليُّ جار الله الإجازةَ له كتب فيها: "أفاد أكثر ممّا

الشرقيَّة في طلب العلم، ثم وصل إلى مكة الْمُكرَّمة وأقام بها. وأدرك بها الشيخ عليَّ بن حسام المتقي الهندي المتوفى عام ٩٧٥هـ/ ١٥٦٨م، الذي كان مقيمًا آنذاك في مكة الْمُكرَّمة، وكان له فضل كبير في تنشيط الحياة العلميَّة في مكة في ذلك الوقت. وقد لازم الشيخُ عبد الوهاب الشيخَ علي المتقي طوال حياته، وأخذ عنه الحديثَ وغيره من العلوم، وصار خليفتَه بعد موته، وتصدَّرَ للتدريس والإفادة بعده بمكة الْمُكرَّمة، وأخذ عنه خلقٌ كثيرٌ من العلماء. وقد كتب عبدُالحق المحدثُ الدهلويُّ ترجمتَه في كتابه "أخبار الأخيار" فيقول: "لقيَني العالمُ الكبير الشيخُ علاء الدين في مكة، وزارني مرة في بيتي وكنت بصدد نسخ كتاب "حـزب البحر"، فسألني عما كنتُ حصلت على الإجازة من أيِّ عالم، فلما أخبرته عن شيخي عبد الوهاب، فقال أنت محظوظ ومبارك. وقال: إني سافرتُ إلى اليمن وأدركتُ المشايخ والصوفيَّة، فوجدتهم كلهم متفقين على الثناء عليه والإخبار بأنه "قطب مكة" في وقته." وكتب الشيخ عبدالحق عنه في زاد المتقين فقال: "إنَّ شيخي عبدالوهاب استقام على المشيَخة ستة وأربعين عامًا بمكة وما فاتته حجّة في أيام إقامته" **زاد المتقين**، ص١٣٩؛ انظر: ترجمته في عبدالحق المحدث الدهلوي، **أخبار الأخيار**، ترجمة: سبحان محمود ورفقائه، (دهلي: أدبي دنيا، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ص٥٤٣-٥٤٦، و أيضًا عبد الحي، **الإعلام**، ج ،٢، ص٥٨٣-٥٨٤؛ لترجمة الشيخ علي المتقي راجع، عبدالحق المحدث، **أخبار الأخيار**، ص٥٢٣-٥٤٢؛ أيضًا عبدالحي الحسني، **الإعلام**، ج١، ص٣٨٥-٣٨٩.

١٦- لقد ذكر الشيخُ المحدثُ قصةً طريفة عن قيام الشيخ عبدالوهاب بتصحيح مشكاة المصابيح وتحقيقه مع نسخته الخاص، وإعطاء الدروس فيها وخلق الرغبة في قلب الشيخ، وتشجيعه على التواصل العلميِّ والمعرفيِّ، انظر: **زاد المتقين**، ص٢١٣-٢١٤.

١٧- هو الشيخ جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن أبي كبر بن علي بن ظهيرة المكي المخـزومي الحنفي المتوفى عام ٩٨٦هـ من علماء مكة وفقهاء الأحناف فيها، تقلد فيها الإفتاء مدة، وله: **"الجامع اللطيف في فضل مكة وبناء البيت الشريف"**. انظر: محمد خير الدين الزركلي، **الأعلام**، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٧م)، ج٧، ص٥٩-٦٠.

١٨- انظر: **زاد المتقين**، ص٢٩٩-٣٠٠.

استفاد"[19]. وخلال وجوده في الحجاز سافر الشيخ الدهلوي مرتيْن أيضًا إلى المدينة المنورة لزيارة مدينة النبيِّ صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ[20]، وكان له قلبٌ جيّاشٌ للتعبير عن حبِّه وتقديره واحترامه البالغ لمدينة الرَّسول صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ[21]. وخلال وجوده في المدينة أخذ الحديثَ والعلومَ الأخرى عن الشيخ أحمد بن محمد بن

١٩- انظر: **زاد المتقين،** ص٣٠٠، وكان قد علَّمَه بعضَ الأوراد والأذكار، وطلب من الشيخ المحدث الدعاءَ له. راجع الصفحة نفسها.

٢٠- ومن الغريب أنَّ المؤرخ البدايوني كتب في ترجمة الشيخ عبدالحق، أنه بسبب بعض العراقيل لم يتمكن من زيارة المدينة خلال وجوده في الحجاز، وقضى بعض الأيام في مكة المُكرَّمة، وأخذ الحديثَ عن الشيخ عبدالوهاب وغيرهم من المحدثين وحصل على الإجازة وعاد إلى الهند" انظر: **منتخب التواريخ،** ج٣، ص٤٥٩. ولكن هذا غير صحيح، لأنه تناول الشيخ نفسه فيما يتعلق بزيارته للمدينة في كتاب "زاد المتقين" وذكر أنه زار المدينة مرتين على إثر إتمام أداء مناسك الحج مرتين. انظر: **زاد المتقين،** ص٢٣٣-٢٣٦، بل وخلال إقامته في المدينة كتب بعض الكتب عن المدينة نفسها، ومنها "جذبُ القلوب إلى ديار المحبوب". وكتب في مقدمته " أنه بدأ كتابته في المدينة المنورة، وانتهى من تأليفه في دهلي" وابتداء تسويد اين حروف درسنة هذه غير مفهومة ثمان وتسعين وتسعمائة در مدينة منورة بوده، وتوفيق تبييض آن درسنة احدى وألف در بلده دهلي يافتة". انظر: **جذوة القلوب،** ص٦، نقلًا عن خليق أحمد نظامي، ص١٨٨؛ وقد ذكر الشيخ في كتابه زاد المتقين، أنه سعد بزيارته أربع مرات في منامه. وذكر أحد مناماته وهو في مكة المُكرَّمة ٢١ ذي الحجة عام ٩٩٨هـ، فيقول: "لقد رأيتُ أنَّ النبيَّ صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ جالسٌ على التخت ويدرّس حديثه النبويَّ، وتتجلى من وجهه أنوارُ الجلال والجمال لدرجة أنه من المحال أنْ يكون التصور أكثر من ذلك". انظر: خليق أحمد نظامي، **حياة عبدالحق،** ص١١٥-١١٦.

٢١- تفيد أعماله لاسيما قصيدته النعتيَّة التي قرضها في مدح الرسول الله صلي الله عليه وسلم باللغة الفارسيَّة، وأنشدها أمام ضريحه لدى وصوله إلى المدينة في عالم من الكيف والجذب الشديد، أنه كان يحبُّ الرسول صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ حبًا جمًا. وهي القصيدة الطويلة، التي تشتمل على خمسة وتسعين بيتًا ذكرها الشيخ في كتابه زاد المتقين. ومما جاء في أبياته، يقول: (خرابم درغم هجر جمالت يا رسول الله-جمالِ خود نما رحمى بجانِ زار شيداكن) أيْ: لقد ساءت حالي في فراق جمالك يا رسول الله، فأعطني فرصة لألقي نظرة على جمالك، وارحَم بذلك هذا المحبَّ الضعيف الحزين. وذكر الشيخ قائلًا: "إنني حينما أنشدتُ هذا البيت من القصيدة، بدأتُ أكرره حتى سادني نوع من الوجد والحزن، وانفجرتُ بالبكاء، وربما كانت هذه علامة، لكون الشِّعر قد وجد بابَ القبول والاستجابة لدى الرسول صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ." انظر: **زاد المتقين،** ص٢٢٧-٢٢٨، ولنصِّ القصيدة الكامل راجع زاد المتقين، ص٢١٧- ٢٢٠. وكان يحترم ويُقدّر مدينة الرسول صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ لدرجة أنه كان يدخل إليها حافي القدمين، ولا يلبس الحذاء خلال وجوده في المدينة المنورة. انظر: خليق أحمد نظامي، **حيات الشيخ،** ص١٠٩.

محمد أبي الحـرم المدنيّ المتوفى عام ١٠٠١هـ/ ١٥٩٣م الملقَّب بـ أبو الحرم[٢٢]، والشيخ حميد الدين بن عبدالله السندي المهاجر وغيرهم[٢٣]. وقد أجازوه جميعًا إجازةً عامةً وأثنوا عليه ثناءً حارًا[٢٤].

وقد أسهَب في مدحه القاضي عليٌّ بن جار الله المذكور، وقال فيه ما يدلُّ على نبوغه العلميِّ ومكانته السامية في الحديث النبويِّ وهو شابٌّ نابهٌ، يقول القاضي: "إنه الفردُ العَلَم في القُطر الهنديِّ...وإنه ممَّن أعلى الله همتّه في الطلب، ووفقه للسعي فيما يوصل إلى بلوغ الأرب، وخدمة العلم الشَّريف، وضرب فيه بالسَّهم الأعلى والقدح المعلى، وقد شرَّفَني بالحضور عندي برهة من الزمان في المسجد الحرام بقراءة باب من **صحيح الإمام البخاري**، ومقطوعة من **ألفيَّة الحديث** للعراقيِّ البحر الهمام، فأفدتُ منه أكثر مما استفاد، وأبدى من الأبحاث والمقالات ما أحسنَ فيه وأجادَ قراءة ظهر بها، أنه بالإفادة أحقّ منه بالاستفادة، وأنَّ له رسوخَ قدَمٍ في الاشتغال على جمل الوجوه المعتادة"[٢٥].

عودتُه إلى الهند والاشتغال بالتدريس والإفادة:

لبثَ الشيخُ عبد الحق في الحجاز أربعَ سنواتٍ متتالية، مستفيدًا من علمائها ومشايخها، لاسيما شيخه عبد الوهاب المتقي، في الحديث النبويِّ وغيره من علومٍ أخرى. وما كان يريد أنْ يغادر الحجاز أصلًا، ولكن أستاذه المذكور آنفًا ألحَّ على ذلك، وكان يريد أنْ يستقرَّ في الهند لتنشيط عمليَّة التعليم والتدريس، ونشْر العلوم الإسلاميَّة وترويجها في ربوع الهند. وقد خضع الشيخُ عبدالحق لإرادة شيخه، وغادر الحجاز إلى أنْ وصل الهند عام ١٠٠٠هـ/ ١٥٩٢م[٢٦]. ولدى وصوله وجدَ بيئة غير صالحة تمامًا أسوأ مما كانت عندما غادرها إلى الحجاز، حيث انتشرَت في ذلك الوقت الأفكار الهدامة اللادينيَّة في المجتمع، وقويَت نتيجة قيام الإدارة المغوليَّة بنشر دين تلفيقيٍّ أسَّسَه السلطان أكبر هدفَ من خلاله لتوحيد الأديان وصهرها في بوتقة واحدة مع تقديم الدعم الكامل لكلِّ الأديان، والطوائف الدينيَّة الهندوسيَّة، والإسلاميَّة، والمسيحيَّة،

٢٢- قد أفرد الشيخ الدهلوي ترجمته في المقصد الثالث في كتابه "**زاد المتقين**"، وقد حرر له الشيخ المذكور الإجازة بعد قراءة **صحيح البخاري** والشاطبيَّة. واعترف خلال درس الشاطبيَّة بموهبة الشيخ الدهلوي العلميَّة قائلًا: "أنا أفيدُ منك أكثر مما تستفيد مني" انظر: **زاد المتقين**، ص٢٩٧-٢٩٨؛ أيضًا، عبد الحي، **الإعلام**، ج٢، ص٥٥٣ وما بعدها.

٢٣- عبد الحي، **الإعلام**، ج٢، ص٥٥٣ وما بعدها.

٢٤- عبد الحي، **الإعلام**، ج٢، ص٥٥٤.

٢٥- انظر: عبدالحي، **الإعلام**، ص٢، ص٥٥٤.

٢٦- انظر: **مقدمة زاد المتقين**، ص٥٤.

واليهوديَّة، والحركات الدينيَّة، التي نشأتْ في إيران ووصلتْ إلى الهند، ومن أهمها الحركة "النقطويَّة" و"الحرفيَّة" وغيرها؛ ممّا ساعد على نشأة بعض الحركاتِ الدينيَّة الإسلاميَّة والهندوسيَّة في الهند، ومنها الطريقة "الشطاريَّة" و"الروشنائيَّة" و"البهكّتيَّة" وغيرها(٢٧).

وفي هذا المناخ غير الدينيِّ، الذي ماتت فيه الغيرةُ الدينيَّة والنخوة الإسلاميَّة، وكان الوضع مضطربًا للغاية، وكانت الهند بحاجة شديدة إلى الكوادر المخلصة؛ للعودة بها إلى المجرى الصحيح مع استغلال الثروة الدينيَّة، ونفْث روح العلم والدين في المجتمع الدينيِّ، لإحياء العقيدة الصحيحة والقضاء على البِدع، والخرافاتِ، وعدم تأثير الفكر الهندوسيِّ في الثقافة الإسلاميَّة(٢٨)، وإنشاء المدارس في المدن والأرياف تهتمُّ بدراسة العلوم الإسلاميَّة الصحيحة، لاسيما الحديث النبويّ الشريف، وأنْ تلهب هذه الكوادر جذوةَ الإيمان من جديد، ليعيد الحرارة إلى القلوب الفاترة مرة أخرى، وينفخ الروحَ في الجسد الميت، ويُحيي الحرصَ على تحصيل علوم الدين، وإذكاء الحميَّة الدينيَّة في الهند كلِّها، وقد وُفِّق الشيخُ عبد الحق المحدّث الدهلوي، وعدد من العلماء الكبار في هذه المهمة وذلك بعيدًا عن الشهرة والتواصل مع الإدارة المغوليَّة والانخراط في النشاطاتِ السياسيَّة.

عكفَ الشيخُ على نشْر علم الحديث النبويِّ، وأنشأ لأجل ذلك مدرسة دار العلوم في دهلي، التي

٢٧- عن الوضع الديني في عهد أكبر ونشأة الطوائف الدينيَّة وتأثيرها في المجتمع الإسلاميَّة، راجع:
Khaliq Ahmed Nizami: Akbar and Religion, (Idara-i- Adabiyat-i-Delhi 1989), P.28-78-237

٢٨- راجع ما كتبه الشيخ عن انتشار البدعة والخرافات عند المُسلمين الهنود المتأثرين بالثقافة الهندوسيَّة المتوغلة في عاداتهم وتقاليدهم، فيقول: "ما تعارَفَ الناس في أكثر بلاد الهند من إيقاد السرج ووضعها على البيوت والجدران وتفاخرهم بذلك، واجتماعهم للهو واللعب بالنار وإحراق الكبريت فإنه مما لا أصل له في الكتب الصحيحة المعتبرة الموثقة، بل ولا في غير المعتبرة، ولم يُروَ فيها حديث ضعيف ولا موضوع، ولا يعتاد ذلك في غير بلاد الهند من الديار العربيَّة من الحرميْن الشريفيْن زادهما الله تعالى تعظيمًا وتشريفًا، ولا في غيرهما، ولا في البلاد غير العربيَّة ما عدا بلاد الهند، بل وعسى أنْ يكون ذلك وهو الظن الغالب اتخاذًا من رسوم الهنود في إيقاد السرج بمناسبة عيد ديوالي (أيْ عيد الأنوار، وهو أهم وأشهر أعياد الهندوس، توقد أيام العيد الشموع الزيتيَّة ترحيبًا بآلهة الثروة "لكشهمي" التي يعتقدون أنها تـزورهم خلال مدة الاحتفالات. ويُعَدُّ هذا العيد للتعبير عن البهجة والسرور، والفرحة، والإشراق، والألوان الزاهية والأضواء البراقة، والشموع التي يجب أنْ تُـزيَّن بها المنازل بهذه المناسبة) فإنَّ عامة الرسوم البدعيَّة الشنيعة بقيَتْ من أهل الكفر في الهند. "انظر: عبد الحق المحدث الدهلوي، **مدارج النبوة**، ترجمة أرديَّة: غلام معين الدين نعيمي (لاهور: مكتبة مشتاق، دون تاريخ) ج١، ص٤٨٠ وما بعدها، وبالمناسبة يُعَدُّ كتاب "**مدارج النبوة**" للشيخ المحدث من أوائل الكتب المهمة في السيرة النبويَّة سطَّرها العالِم الهنديُّ باللغة الفارسيَّة بدقة تامة وبشموليَّة كاملة.

كانت أولَ مدرسة إسلاميَّة في شمال الهند في ذلك الوقت علا منها صوتُ الشّرع والسُّنة النبويَّة، وكان المنهج التعليميُّ في هذه المدرسة مختلفًا عن المدارس الأخرى اختلافًا كليًا، فكان القرآنُ والحديث فيها قطب الرحى الذي تدور حوله سائرُ العلوم الدينيَّة، وكانت تتمتع بخصائصها المميـزة لا في دهلي وحدَه، بل في سائر شمال الهند وكان يجتمع فيها مئاتٌ من الطلاب، ويدرّس فيها شيوخٌ وأساتذة كثيرون جرى تأهيلُهم تحت إشراف الشيخ المحدّث، ومن خلال هذه المدرسة اشتهرَت دروسُ الشيخ المحدّث في الحديث النبويِّ في كلِّ أرجاء الهند، وتهافَت عليه الطلابُ من جميع أنحاء الهند لا سيّما من شمال الهند، ومنذ ذلك الوقت عُرف الشيخُ بلقب "المحدّث" الذي أصبح بعد ذلك جـزءًا من اسمِه حتى إذا قيل: "المحدّث الدهلوي" لايُقصَد به إلا هو[٢٩].

أولاده:

كان للشيخ المحدّث ثلاثةُ أولاد من الذكور، أكبرُهم "الشيخُ نورُ الحق الدهلوي"، ثم "الشيخُ عليّ محمد"، و"الشيخُ محمد هاشم". وقد اكتسب الشيخُ نور الدين منهم شهرةً واسعةً بسبب علمِه الغـزير في الحديث والفقه، وله مؤلفاتٌ عديدة في العلوم الشرعيَّة، أهمها: "تيسير القاري في شرح صحيح البخاري"، ألّفَه باللغة الفارسيَّة في ستّة مجلدات كبار، وطُبِع هذا الشرحُ في المطبعة العلويَّة بلكهنو في الهند عام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م، وشرح صحيح مُسلمٍ المسمى بـ"منبع العلم"، وكان متفرقًا، فقد جمعَه ورتبَه ابنُه الشيخُ فخرالدين محب الله، وأضاف إليه بعضَ المواد العلميَّة المفيدة، و"شرح شمائل التـرمذي" بالفارسيَّة والذي يوجد له مخطوطٌ في مكتبة رضا برامپور الهند[٣٠].

مؤلفاتُ الشيخ المحدّث الدهلويّ:

إلى جانب انكبابه على عمليَّة التدريس والإفادة وانهماكه الشديد عليها في المدرسةِ المذكورة؛ فقد اعتنى اعتناءً كبيرًا بالتأليف والتصنيف في شتى الموضوعاتِ الدينيَّة، وجمع لأجل ذلك في مكتبته نوادرَ

٢٩- عن نشاطات الشيخ العلميَّة والإصلاحيَّة، انظر: خليق أحمد نظامي، **حيات شيخ عبد الحق المحدث**، الباب العاشر، ص١٢١-١٢٦.

٣٠- لترجمته راجع، غلام علي آزاد البلجرامي، **سبحة المرجان في آثار هندوستان**، تحقيق: فضل الرحمن الندوي (عليكره: معهد الدراسات الإسلاميَّة، جامعة عليكره الإسلاميَّة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، ص١٤١؛ ولأعماله ، انظر: كلًا من ضياء الدين الإصلاحي، **تذكرة المحدثين**، (أعظم كره: دار المصنفين، ٢٠٠٦م)، ج ٣، ص٣٣٠؛ أيضًا عبدالحي الحسني، **الثقافة الإسلاميَّة في الهند** (دمشق: مجمع اللغة العربيَّة، ١٩٨٣م) ص١٥٣.

المخطوطات ونفائسَ الكتب، وكان قد أحرزَ الكثير منها خلال إقامته بالحجاز، فكانت مكتبته تحتوي على الكنوز العلميَّة الغالية في الهند[٣١]، وكان يقضي معظمَ أوقاته في هذه المكتبة يطالع ويؤلِّف، فقد بلغ عددُ مؤلفاته ستين عنوانًا، وفقًا لإحصائيَّة بعض الباحثين، ومعظمها يتعلق بالشريعة الإسلاميَّة والسُّنَّة المطهَّرة[٣٢]. وفيما يلي تعريفٌ وجيزٌ لجميع أعماله العلميَّة حسب الموضوعات.

عنوان الموضوعات: ١. تفسير، ٢. تجويد، ٣. حديث، ٤. عقائد، ٥. فقه، ٦. تصوُّف، ٧. أخلاق، ٨. أعمال، ٩. فلسفة ومنطق، ١٠. تاريخ، ١١. سِيَر وتراجم، ١٢. لغة، ١٣. السيرة الذاتيَّة، ١٤. خُطَب، ١٥. الرسائل والمكتوبات، ١٦. أشعار.

ومن الصعب هنا أنْ أُحصي كلَّ أعمال الشيخ في هذا المقام، ويُستحسن أنْ أذكُرَها في الجدول التالي حسب الحروف الهجائيَّة[٣٣]:

رقم	اسم الكتاب	الموضوع	اللغة	وصف
١	إجازة الحديث في القديم والحديث	سيرة ذاتيَّة	العربيَّة	مخطوط
٢	الأجوبة الاثنا عشر في توجيه الصلاة على سيّد البشر	الأذكار	العربيَّة	مخطوط
٣	أحوال الأئمة الاثني عشر خلاصة أولاد	السِّيَر	الفارسيَّة	مخطوط

٣١- لقد ظلت مكتبته هذه في الوضع نفسه إلى مدة طويلة بعد مماته، وقد حافظ عليها ابنه البار الشيخ نور الحق الدهلوي المتوفى عام ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م. طوال حياته وأهله فيها بعد. ولكن لما تغيَّر الوضع السياسيُّ في القرن الثاني عشر الهجري/ القرن الثامن عشر الميلادي، وشنَّ عليها بعض الطوائف الهندوسيَّة غارات متعاقبة ومتواصلة؛ نهبَت منها هذه المكتبة الثريَّة، وأدت إلى ضياع كثير من كنوزها، كما تحدَّث شيخُ الإسلام بن فخر الدين، وهو حفيدُ الشيخ نور الحق الدهلوي عن ذلك بأسف شديد وحزن عميق في آخر المجلد الثاني من شرحه للبخاري، وهو يقصُّ نهب خزانة الشيخ المحدث، فقال: "انتهى في زمن الخراب والدمار وغارتها في هجمة على دهلي القديمة، باستيلاء الكفار العتاة بالتعاون مع الطغاة والبغاة، وذهاب المكتبة القديمة والجديدة، التي اشتملَت على كتب يندر معظمها في هذه المنطقة، وكان بعضها مُحَلًّى بتصحيح وحاشية شيخ المحدثين، وكانت تحت دراسته وتدريسه...لم يتبقَّ في البيت إلا كُتبٌ مُلقاة في جوانب متهدّمة.." انظر: النصّ الفارسي لشيخ الإسلام في خليق أحمد نظامي، **حياة الشيخ المحدث،** ص١٥٢.

٣٢- انظر: خليق أحمد نظامي، **حياة الشيخ المحدث،** ص١٥٤.

٣٣- اعتمدت على قوائم خليق أحمد نظامي لوضع هذا الفهرس، انظر :**حيات الشيخ عبدالحق،** ص٢١١- ٢١٤.

	سيد البشر	والتراجم		
٤	أخبار الأخيار في أحوال الأبرار	السِّيَر والتراجم	الفارسيَّة	مطبوع
٥	آدابُ الصالحين	أخلاق	الفارسيَّة	مطبوع
٦	آدابُ اللباس	أخلاق	الفارسيَّة	مطبوع
٧	آدابُ المطالَعة والمناظَرة	أخلاق	الفارسيَّة	مخطوط
٨	أسماءُ الرجال والرواة المذكورين في كتابِ المشكاة	حديث	العربيَّة	مطبوع
٩	أسماءُ الأستاذين	السّيرة الذاتيَّة	العربيَّة	مخطوط
١٠	أشعة اللمعات في شرح المشكاة	حديث	الفارسيَّة	مطبوع
١١	الأفكارُ الصافية في ترجمة كتاب الكافية	نحو	الفارسيَّة	مخطوط
١٢	انتخابُ المثنوي المولوي المعنوي	تصوُّف	الفارسيَّة	مخطوط
١٣	الأنوارُ الجليَّة في أحوال مشايخ الشاذليَّة	السِّيَر والتراجم	الفارسيَّة	مخطوط
١٤	بناءُ المرفوع في ترصيص مباحث الموضوع	الفلسفة	العربيَّة	مخطوط
١٥	تحصيلُ التعرف في معرفة الفقه والتصوف	تصوُّف	العربيَّة	مخطوط
١٦	تحقيقُ الإشارة إلى تعميم البشارة	تصوُّف	العربيَّة	مخطوط
١٧	ترجمةُ الأحاديث الأربعين في نصيحة الملوك...	حديث	الفارسيَّة	مخطوط
١٨	ترجمةُ زبدة الآثار منتخب بهجة الأسرار	السِّيَر والتراجم	الفارسيَّة	مطبوع
١٩	ترغيبُ أهل السَّعادات في تكثير الصلاة على النبيِّ	الأذكار	الفارسيَّة	مخطوط
٢٠	تسلية المصابِ لنيل الأجر والثواب	أخلاق	الفارسيَّة	مخطوط

٢١	تعليقُ الحاوي على تفسيرِ البيضاوي	تفسير	العربيَّة	مخطوط
٢٢	تكميلُ الإيمان وتقوية الإيقان	عقائد	الفارسيَّة	مطبوع
٢٣	تنبيهُ العارف بما وقع في العوارف	تصوُّف	العربيَّة	مخطوط
٢٤	توصيلُ المريد إلى المراد به بيان الأحزاب والأوراد	تصوُّف	عربي-فارسي	مطبوع
٢٥	جامعُ البركات منتخب شرحِ المشكاة	حديث	عربي-فارسي	مخطوط
٢٦	جذبُ القلوب إلى ديار المحبوب	تاريخ	الفارسيَّة	مطبوع
٢٧	جمعُ الأحاديثِ الأربعين في أبواب علوم الدين	حديث	العربيَّة	مخطوط
٢٨	جوابُ بعض كلماتِ الشيخ أحمد السرهندي	تصوُّف	الفارسيَّة	مطبوع
٢٩	حاشية الفوائد الضيائيَّة	نحو	العربيَّة	مخطوط
٣٠	حسنُ الأشعار في جمع الأشعار (ديوان)	شِعْر	الفارسيَّة	مخطوط
٣١	الدرّة البهيَّة في اختصار الرسالة الشمسيَّة	منطق	العربيَّة	مخطوط
٣٢	درّة الفريد في قواعد التجويد	تجويد	العربيَّة	مخطوط
٣٣	تاريخُ سلاطين ملوك	تاريخ	الفارسيَّة	مخطوط
٣٤	رسالةُ شب برأت	حديث	الفارسيَّة	مخطوط
٣٥	رسالةُ صلاة الأسرار	تصوُّف	الفارسيَّة	مخطوط
٣٦	رسالةُ عقد أنامل	أذكار	فارسيَّة	مخطوط
٣٧	رسالةٌ نورانيَّة سلطانيَّة	تاريخ	عربي-فارسي	مخطوط
٣٨	رسالة أقسام حديث	حديث	العربيَّة	مخطوط
٣٩	رسالة وجوديَّة	تصوُّف	عربي-فارسي	مخطوط
٤٠	رسالة وظائف	أذكار	عربي-فارسي	مخطوط
٤١	زاد المتقين	سير وتراجم	الفارسيَّة	مخطوط

٤٢	زبدةُ الآثار منتخب بهجة الأسرار	سير وتراجم	العربيَّة	مطبوع
٤٣	شرحُ سِفر السعادة	رقائق	الفارسيَّة	مطبوع
٤٤	شرحُ شمسيَّة	منطق	العربيَّة	مخطوط
٤٥	شرحُ صدور تفسير آية النور	تفسير	عربي-فارسي	مخطوط
٤٦	شرحُ فتوح الغيب	تصوُّف	الفارسيَّة	مطبوع
٤٧	صحيفة المودة	مكتوبات	الفارسيَّة	
٤٨	فتحُ المنّان في تأييد مذهب النعمان	فقه	العربيَّة	مخطوط
٤٩	فصولُ الخطبِ	خطب	عربي-فارسي	
٥٠	فهرسُ التواليف (تأليفُ قلبِ الأليف)	سيرة ذاتيَّة	فارسي-عربي	مطبوع
٥١	لمعاتُ التنقيح في شرح مشكاة المصابيح	حديث	العربيَّة	مطبوع
٥٢	ما ثبتَ بالسُّنة في أيام السَّنَة	حديث	العربيَّة	مطبوع
٥٣	مدارجُ النبوةِ	السّيرة النبويَّة	الفارسيَّة	مطبوع
٥٤	مرجَ البحرين	تصوُّف	الفارسيَّة	مطبوع
٥٥	مطلبُ الأعلى في شرح أسماء الله	أذكار	عربي-فارسي	مخطوط
٥٦	مطلعُ الأنوار البهيَّة في الحليَّة النبويَّة	السّيرة النبويَّة	عربي-فارسي	مخطوط
٥٧	نكاتُ الحقّ والحقيقة	تصوُّف	الفارسيَّة	مخطوط
٥٨	نكاتُ العشق والمحبة	تصوُّف	الفارسيَّة	مخطوط
٥٩	وصيت نامه	سيرة ذاتيَّة	الفارسيَّة	مخطوط
٦٠	هداية الناسك إلى طريق المناسك	دليل	فارسي-عربي	مخطوط

ولدى الاطّلاع على أعمال الشيخ الدهلوي، نجد أنه بذل مجهودًا حثيثًا طوال حياته في عمليَّة الكتابة والتأليف. وكلّ أعماله تتميز بالموضوعيَّة والدقة والشموليَّة في تحقيق المسائل، ومعالَجة الموضوعاتِ الدينيَّة والأدبيَّة واللغويَّة والتاريخيَّة والفكريَّة.

وفاته:

تُوفّي الشيخ عن عمر يناهز أربعة وتسعين عامًا، وذلك في ٢١ ربيع الأول عام ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م بمدينة دهلي، وحسب وصيته صلّى عليه نجلُه الشيخ نور الحق الدهلويّ، ودُفِنَ قريبًا من الحوض الشمسي [٣٤]. وقد أوصى ولدَه قبل وفاته: "أنْ لا يوسّع قبره، ولا يتجاوز حدَّ الاعتدال، ولا يُجصَّص داخلَه، ولا يُرفع جداره إلا بالآجر"، وأوصى كذلك: "إنْ رأيتُم من المصلحة؛ فيُنصَب لوحٌ على القبر، ويُكتب عليه تاريخُ ولادته ووفاته، ونبذةٌ دقيقة وشاملة عن حياته، وأخبار انشغاله طوال حياته في تحصيل العلم والمعرفة، ورحلاته العلميَّة وتخصُّصه في العلوم الإسلاميَّة". فتنفيذًا لوصيته نُصِبَتْ لوحة على ضريحه، وكُتب فيها ما أوصى به –رحمه الله رحمةً واسعةً[٣٥].

٣٤- قام بإنشائه السلطان شمس الدين ايلتتمش (٦٠٧-٦٣٣هـ/ ١٢١٠-١٢٣٦م)، وقد تحوّل هذا المكان فيما بعد إلى مركز دينيٍّ وروحانيٍّ، وتشير المصادر المعاصرة إلى وجود وأهميَّة هذا الحوض وما يجاوره، جاء في مفتاح الطالبين ما يفيد: "حوض شمسيّ مكان العبادة، وهو المكان الذي يستجاب فيه الدعوات، وهو مكان خاص لعبادة الرحمن، وهو مقام الرحمة والمغفرة، يسكن فيه العابدون والزاهدون والصالحون والإبداليون..." انظر: **مفتاح الطالبين**، وهو مجموعة من ملفوظات قطب الدين بختيار الكعكي، يقول عن هذا الكتاب خليق أحمد نظامي، أنه دونت معظم هذه الملفوظات الدينيَّة عند الحوض الشمسي، انظر: خليق أحمد نظامي، **سلاطين دهلي كي مذهبي رجحانات**، (دهلي: ادارۂ أدبيات دلي، ١٩٥٨م)، ص١٢٩؛ وبالإضافة إلى ذلك أنشئت للمجموعات الخوانق الصوفيَّة الأخرى حول هذا الحوض، ومنها الحجراتُ الخاصة للعلماء والصوفيَّة، و"مسجد أولياء" الذي اهتم السلاطين في عهودهم به وبزيادته مع جعله باقيًا إلى زمن مديد، وقد زاره الرحالة المغربي ابنُ بطوطة وذكر عنه في كتابه فيقول: وبخارج دهلي الحوض العظيم المنسوب إلى السلطان شمس الدين ايلتتمش، ومنه يشرب أهل المدينة، وهو بالقرب من مُصلّاها...وطوله نحو ميلين وعرضه على النصف من طوله، والجهة الغربيَّة منه من ناحية المصلى مبنيَّة بالحجارة....وداخلها مسجد، وفي أكثر الأوقات يقيم بها الفقراء المنقطعون إلى الله المتوكلون عليه..انظر: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق، الدكتور عبدالهادي التازي، (الرباط: أكاديميَّة المملكة المغربيَّة، ١٩٩٧م) ج٣، ص١١٢-١١٣؛ وقد ذكر الشيخ نظام الدين أولياء بركات هذا الحوض وعذوبة مياه، وذكر مرة أنه رأى بعضهم في منامه السلطان إيلتتمش، وسأله عن المغفرة، فأفاده أنه قد غُفر له بسبب إنشاء هذا الحوض. انظر: **فوائد الفوائد**، ملفوظات الشيخ نظام الدين أولياء، ترتيب: أمير حسن علاء سجزي، (لكهنؤ: مطبعة نول كشور، ١٣٠٢هـ)، ص١٩.

٣٥- عن النص الفارسي المكتوب على اللوحة، انظر: خليق أحمد نظامي، **حيات الشيخ**، ص١٤٧-١٤٩.

هذه نبذةٌ بسيطةٌ عن حياة المحدثِ الشيخ عبدالحق الدهلوي، حاولتُ من خلالها أنْ أعرضَ أهمَّ جوانبِ حياته العلميَّة ورحلاته العلميَّة إلى الحرميْن الشريفيْن، وعلاقته مع شيوخه هناك وعودته وقيامه بتفعيل النشاطاتِ العلميَّة، لاسيما نشْر علوم الحديث وترويجها، مع تسطير الكتب والأبحاث وشرح كتب الأحاديث وتقديمها في أوساط العلماء، ودوره في إعداد الكوادر الخاصة من العلماء لمجابهة التحدياتِ المرتقبة آنذاك لإخراج المجتمع الإسلاميِّ من براثن الكُفر والإلحاد والبِدَع، وإحياء السُّنن النبويَّة وترويجها من خلال إنشاء المؤسساتِ التعليميَّة لتقديم المناخ العلميِّ والمعرفيِّ. وبهذا نكون قد ألقينا نظرةً سريعةً على سيرة الشيخ مع الإشارة إلى أهمِّ الجوانبِ في حياته، وحان الأوان لنتحدث عن كتابه **زادُ المتقين في سلوكِ طريقِ اليقين** لإلقاء الضوء على الحياة الدينيَّة والعلميَّة في الحرميْن الشريفيْن خلال وجودِ الشيخ المحدّث في الحجازِ، وهذا ما سيعالجُه المبحثُ الثاني.

ثانيًا: تعريف كتاب "زادُ المتقين في سلوكِ طريق اليقين"

خلال وجودِه في الحرميْن الشريفيْن، بدأ الشيخ المحدّث تأليف كتابيْن أولُهما **زادُ المتقين في سلوكِ طريقِ اليقين**، وتناولَ فيه الحياةَ الدينيَّة والعلميَّة، وبعضَ الجوانب الاجتماعيَّة في مكة المُكرَّمة والمدينة المنوَّرة في ذلك الوقت، مع التـركيز الخاصّ على كتابة سِيَر أساتذته وشيوخه ونشاطاتهم الدينيَّة والعلميَّة، وعلى الأخصِّ الشيخُ عليّ المتقي، والشيخُ عبد الوهاب المتقي.

وقبل أنْ أعرّف بهذا الكتابِ وما يحمله من الموضوعاتِ الشيقة، التي تعالج الجوانبَ العديدة من الحياة الدينيَّة والعلميَّة، أريد أنْ أكتبَ نبذةً بسيطةً عن كتابه الثاني، الذي بدأ كتابتَه خلال وجودِه في المدينة المنوَّرة وسمّاه **جذبُ القلوبِ إلى ديار المحبوبِ**[٣٦]، وانتهى منه في دهلي بعد عودته إليها، وهو كتابٌ في تاريخ المدينة المنوَّرة، تناول فيه الشيخُ أهمَّ أحداث السيرة النبويَّة[٣٧]، وكتب في مقدمةِ كتابِه هذا، أنه اعتمدَ على

٣٦- وقد اشتهر هذا الكتاب في شبه القارة الهنديَّة بسبب محتوياته القيمة، وطبع مرارًا وتكرارًا في مدينة كلكتا ودهلي ولكهنؤ. وأقدم نسخة خطيَّة لهذا الكتاب يرجع تاريخها إلى عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م. وله نُسَخ خطيَّة عديدة موجودة في مكتبات الهند وبريطانيا. وترجم هذا الكتاب من الفارسيَّة إلى الأرديَّة باسم **تاريخ مدينة منورة** (لاهور: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

٣٧- وقد أعدَّه بعضُ الباحثين أنه كتاب في الرحلة، بل يعُدُّه البعض من أقدم كتب الرحلات التي انطلَقَت من شبه القارة الهنديَّة إلى شبه الجزيرة العربيَّة. انظر: جلال السعيد الحفناوي**الرحلات إلى شبه الجزيرة العربيَّة في الأدب الأردي**، مقالة منشورة في الكتاب: ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربيَّة، (الرياض: دارة الملك عبدالعـزيز، ١٤٢٤هـ) ج٢،

كتاب **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى** لنور الدين علي بن عبدالله السمهوديّ في المقام الأول، بجانب الإفادة من الأعمال التاريخيَّة الأخرى[٣٨].

وكتب مترجمو الكتاب في المقدمة قائلين: يُعَدُّ هذا الكتاب من نوعيَّة فريدة في بابه والذي كُتب في شبه القارة بيد العلامة الأجلّ الشيخ عبدالحقِّ المحدّث الدهلوي في فضائل المدينة المنورة ومناقبها، ولايوجد أيُّ كتاب سطَّره العالم الهنديُّ بهذه الدقة، والموضوعيَّة، والشموليَّة عن مدينة رسول الله صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ باللُّغة الفارسيَّة"[٣٩].

تعريفٌ بكتاب "زادُ المتقين في سلوك طريق اليقين": أمّا الكتابُ الثاني فهو **زادُ المتقين في سلوك طريق اليقين** خصَّصَه الشيخُ المحدّث لذكر حياة شيوخه، وتَراجم شيوخ مكة المُكرَّمة، ومجاوريها خلال المدة التي لبثَ فيها في مكة المُكرَّمة والمدينة المنورة، طالبًا لعلم الحديث والسلوك والتزكية. وقد دوَّن كلَّ ذلك من

ص٨٤٧- ٨٥٢، وهذا غير صحيح. لم يذكر الشيخُ في هذا الكتاب عن رحلته العلميَّة والدينيَّة، إنما كان يرجو، وهذا ما يبيّن من محتويات الكتاب-أنْ يكتب كتابًا دقيقًا وشاملًا في تاريخ المدينة المنورة مع التغيرات التي حدثت قبل البعثة وبعدها، لاسيما بعد هجرة النبي صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ إليها. وقد قسَّم الشيخُ كتابَه المعنيَّ إلى سبعة عشرَ بابًا، تناوَل في الباب الأول أسماءَ المدينة المنورة وألقابها، وخصَّص الباب الثاني، لوصف المدينة وأوصافها وفضائلها وقيمتها، وذكر في الباب الثالث، تاريخَ المدينة القديمة وأعراقها وأجناسها، وتطرَّق في الباب الرابع، إلى انتظار أهل المدينة البعثة النبويَّة، ثم انتظار قدوم النبي صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ. وتعرَّض في الباب الخامس، لوصول النبي صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ، وما ترتب على ذلك من التطورات السياسيَّة والدينيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة. ثم تناول في كلٍّ من الباب السادس والسابع والثامن والتاسع المسجد النبويّ عبر العصور مع ذكر بيوت زوجات النبي صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ، مع الإشارة إلى الترميمات والإضافات التي حدثَت للمسجد النبوي الشريف عبر العصور. مع ذكر المساجد الأخرى المهمة التي شُيِّدَت في عهد الرسول صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ. وخُصّص الباب العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر، لذكر المنشآت الدينيَّة والمدنيَّة الموجودة في داخل المدينة وخارجها. ثم خصَّص كلًا من الباب الثالث عشر ، والرابع عشر، والخامس عشر إلى آخره لذكر فضائل بعض الأماكن المقدسة في داخل المدينة وخارجها داعيًا الحجاج والمعتمرين إلى زيارة هذه الأماكن بسبب قدسيتها، وأهميتها في التاريخ الإسلاميِّ، ومنها جبل أُحُد، والروضة المقدسة، والقبة الخضراء وغيرها. ثم تناول أهميَّة المعرفة عن آداب زيارة المدينة المنورة، وفضائل الصلوات والسلام على النبيِّ الخاتم صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ ويبدو من الأبواب الستة الأخيرة أنه كان يريد بإعداد تلك المقالات أنْ يكون كتابه دليلًا شاملًا لحجاج الهند وأهل اللغة الفارسيَّة.

٣٨- انظر: عبدالحق المحدث الدهلوي، **تاريخ مدينة منورة**، مقدمة، ص١.

٣٩- انظر: عبدالحق المحدث الدهلوي، **تاريخ مدينة منورة**، ديباجه، ص٥.

خلال مشاهداته الخاصة، وما سمعَه من الشيوخ والعلماء، كما تفضّل في كتابه المذكور، فيقول: انتهيتُ من تأليف كتابي هذا عام ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٤م بكلِّ التفاصيل، وسميته بـ **زادُ المتقين في سلوك طريق اليقين** وكان من الممكن جدًا أنْ أسمّيه "صراط مستقيم، أو منهج قويم، أو ميزان عدل، أو دين حقّ" فكلُّ هذه الأسماء لابأسَ بها[٤٠].

وقد بدأ الشيخُ تدوينَ رحلته في هذا الكتاب خلال فترة وجوده في الحرميْن، إلى أنْ انتهى منه لدى وصوله إلى الهند. ولم يطبع هذا الكتاب بالنصِّ الأصليِّ الفارسيِّ إنما قام الأستاذ الدكتور مسعود أنور علي من قسم اللغة العربيَّة في كليَّة الآداب بجامعة عليكره الإسلاميَّة بنقله إلى اللغة الأرديَّة ونشره. وقد اعتمد المترجم على المخطوط الموجود في المكتبة الأنواريَّة التابعة لخانقاه الكاظميَّة القلندريَّة بمدينة كاكوري، الهند[٤١] وقد ذكر المترجمُ أيضًا أنَّ هنالك ترجمةً أرديَّة أخرى قام بها الدكتور عبد الحليم الجشتي، ونشرت من أكاديميَّة الرحيم كراتشي ولكن تلك الترجمة ليسَت دقيقة وشاملة[٤٢].

هذا وقد اعتمد الباحثُ على ترجمة الدكتور مسعود أنور علوي؛ لإعداد هذا البحثِ المتواضع، ولكنه اطَّلَع على نسخة خطيَّة أخرى للمخطوط توجد في حوزة مكتبة رضا برامپور، الهند[٤٣]، وجاءت ترجمةُ هذا الكتاب في ثلاثمائة وأربعين صفحة مع المقدمة سطَّرها المترجم في ثمانٍ وأربعين صفحة (٢٢– ٧١). وقد جرى تقسيمُ هذا الكتاب: إلى الديباچة من جانب المؤلف (٧٢–٧٧)، وثلاثة مقاصد؛ أيْ ثلاثة أبواب ثم جرى تقسيمً هذه الأبواب أو المقاصد إلى فصول عديدة، يتناول المقصدُ الأول حياةَ الشيخ علي المتقي ونشاطاته العلميَّة والدينيَّة (٧٨–١٣٥)، في حين يعرض المقصدُ الثاني لترجمة الشيخ عبد الوهاب المتقي،

٤٠- انظر: عبدالحق المحدث الدهلوي، **زاد المتقين، ديباجه**، ص٧٧.

٤١- انظر: تمهيد **زاد المتقين للمترجم**، ص٦٥.

٤٢- المصدر السابق، ص ٦٧– ٧١.

٤٣- تجدر الإشارة إلى أنَّ مكتبة رضا رامپور المذكورة، أعلاه نظمت المؤتمر العالمي عن تاريخ الهند، وثقافتها، خلال مدة ٢٤–٢٦ أكتوبر عام ٢٠١٣م. وسعد الباحث بالمشاركة فيه، فسنحت له فرصة للاطلاع على هذا المخطوط، الذي يحمل رقم ٢٣٠٢ سوانح فارسي. ويشتمل على ١٦٣ ورقة مكتوبة بيد المؤلف نفسه عام ١٠٢٦هـ/ ١٦١٦م. وقضى الباحث يومًا كاملًا لمطالعته ومقارنته مع الكتاب الأردي المترجم، وصور بعض الصفحات ووضعها في الملاحق. وجاء المخطوط بديباجه (١–٥)، وثلاثة مقاصد. ينقسم المقصد الأول إلى خمسة أبواب (٥–٤٤). أما المقصد الثاني، فينقسم هو أيضًا إلى خمسة أبواب (٤٥–١٢٦). والمقصد الثالث، يحوي تراجم العلماء والصوفيَّة ونشاطاتهم الدينيَّة والعلميَّة (١٢٦–١٦٣).

وعلاقة المؤلف بالأخير مع ذكْر حياة الشيخ عبد الوهاب الدينيَّة والعلميَّة (١٣٦-٢٧٢)، ويقدّم المقصد الثالث أوصافَ العلماء والصوفيَّة المجاورين في الحرميْن الشريفيْن آنذاك (٢٧٢- ٣٤٠).

ومع أنَّ الشيخ لم يدوِّن كتابَه هذا على منهج أدب الرحلة إلا أنَّ الكتاب يحتوي على المعلومات القيّمة التي تعكس الأوضاعَ الدينيَّة، والعلميَّة، والاجتماعيَّة، والعادات، والتقاليد السائدة في الحرميْن الشريفيْن إبّان تلك الحقبة التاريخيَّة. وبالإضافة إلى كونه طالبًا للعلوم الإسلاميَّة كان أشبه بالرحالة، ومن الطبعيِّ أنه قد رأى الأحوال والأوضاع الدينيَّة والعلميَّة وشاهدها ودوَّنها في كتابه المذكور، والحقُّ أنَّ الكتاب يقدّم لنا معلومات مهمة عن تاريخ الحرميْن الشريفيْن وثقافتهما قد لا تتوافر عند غيره مما جعل كتابَه يحمل في طياته رصيدًا كبيرًا من المعرفة عن شبه الجـزيرة العربيَّة خلال تلك الحقبة المعينة من الزمن وقبل أنْ أذكر تفاصيلَ الحياة العلميَّة ونشاطات العلماء والصوفيَّة في التعليم والتدريس؛ عليَّ أنْ ألقي نظرةً سريعة على الحياة الدينيَّة، لما لها من علاقة وثيقة بالحياة العلميَّة، وقد حاولت قدْر جهدي عرضَ المعلومات الواردة في هذا الكتاب كما ذُكِرَت دون التعليق عليها إلا في إطار ضيِّق.

ثالثًا: الحياةُ الدينيَّة في الحرميْن الشريفيْن كما جاء في كتاب "زادُ المتقين في سلوك طريق اليقين"

يشعر قارئُ هذا الكتاب من أول وهلة بوجود البيئة الصوفيَّة العميقة المنتشرة في مكة المُكرَّمة والمدينة المنورة في فترة الدراسة، ويتضح من مقالات الكتاب المذكور أنَّ التصوفَ كان له وجودٌ وحضورٌ وتداوُل قويٌّ في المنطقة في ذلك الوقت، ونستطيع أنْ نرى تلك الهالة الصوفيَّة تكتنفُ الكتابَ من البداية إلى النهاية. وتفيد مؤلفاتُ الشيخ، وهذا الكتابُ كذلك أنه كان صوفيًا إلى جانب كونه عالمًا ومحدثًا كبيرًا، وكان ينتمي إلى الطريقة الصوفيَّة القادريَّة، وكان حبُّه وتقديرُه واحترامُه نحو الشيخ عبدالقادر الجيلاني المتوفى ٥٦١هـ/ ١١٦٥م، لا حدودَ له، وقد عبَّر عن ذلك مرارًا وتكرارًا في هذا الكتاب حتى أنه قرَّر أنْ يزور ضريحَ الشيخ المذكور، ويقضي بعضَ الوقت هناك قبل العودة إلى الهند[٤٤].

ولعلَّ من المناسب أنْ نشير هنا إلى أنَّ عددًا كبيرًا من العلماء والطلاب من شبه القارة الهنديَّة، ومن البلدان العربيَّة والإسلاميَّة الأخرى الذين قدموا مكة وسكَنوا بها وجاوروا فيها آنذاك، تفيد تراجمُهم،

٤٤- وفقًا لقوله أنه بايع الشيخ عبد القادر الجيلاني في عالم الرؤية وكتب قائلًا: "وهو الذي أرشدني إلى أنْ أقوم في منتصف الليل، وأتوضأ وأصلي ركعتين بمنتهى الخشوع والخضوع، وأدعو الله أنْ يوفِّقني ويُرشدني إلى الشخص العالم المتقي الذي يُعلّمني ويُرشدني الطريق الصحيح إلى الله". انظر: **زاد المتقين**، ص٧٥.

ويتضح من نشاطاتهم الدينيَّة والعلميَّة قبل وصولهم إلى الحرمَيْن الشريفَيْن وبعده أنهم كانوا يميلون إلى التصوف والتزكية والسلوكِ ميلًا كبيرًا فكانوا يركِّـزون على العبادة ويحبِّذون الزهدَ والانقطاعَ عن الدنيا مع التقشُّف في المعيشة، ولذا يجب علينا ألّا نستغرب عندما نرى فيما كتبه الشيخُ عن أساتذته وشيوخه وعن بيئة السلوكِ والتزكية آنذاك والتي سنرى من خلالها أنَّ عددًا كبيرًا من المحدّثين والفقهاء والعلماء المجاورين ممَّن خدَموا العلوم الشرعيَّة وقاموا بإثراء علم الحديث بجهود مختلفة كانوا ينتمون إلى الطرق الصوفيَّة أيضًا فكان أستاذُه الخاصُّ الشيخ عبد الوهاب المتقي الذي كان يُعد من أكابر علماء وفضلاء عصره، والذي كان الشيخ المحدث قد درس تحت إشرافه معظمَ العلوم الإسلاميَّة لاسيما علم الحديث، صوفيًا كبيـرًا في عصره وبين أقرانه[٤٥]. وكذلك كان أستاذ الشيخ عبد الوهاب الشيخ علي المتقي إلى جانب كونه عالمًا محدثًا كبيرًا ينتمي إلى التصوف وإلى الطرق الصوفيَّة العديدة[٤٦].

ومن هنا، نجد أنَّ معظمَ العلماء الكبار الذين كتب الشيخُ المحدِّث عنهم في الفصل الثالث من هذا الكتاب، أو جاء ذكرُهم في سرْد أحاديث الكتاب، كانوا من الصوفيَّة وينتمون إلى الطرق الصوفيَّة العديدة المختلفة ومنها: الطريقة الجشتية، والشاذليَّة، والقادريَّة، والنقشبنديَّة وغيرها من الطرق الصوفيَّة. ويتناول الكتاب أيضًا أحوالَ المجاذيب من الرجال والنساء، الذين كانوا يجوبون شوارعَ مكة المُكرَّمة، وكانوا

٤٥- **زاد المتقين**، ص١٣٩.

٤٦- **زاد المتقين**، ص٧٨؛ وقد أكّد الشيخ علي المتقي في وصيته كتبها للعلماء والشيوخ، فيقول: "بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ وعلى آله وصحبه أجمعين. هذا ما وصّى بها الفقير إلى الله علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي في يوم خروجه من الدنيا ودخوله في الآخرة، وإنَّ هذا الفقير لما كان صغيرًا جعلني والدي رضي الله عنه مريدًا للشيخ الأجل "باجن" قدَّس الله سرَّ وكان طريقه السماع والصفا والوجد والهيمان. فلما وصلت إلى سنِّ التميـز بين الحقِّ والباطل اخترته ورضيت به شيخًا عملًا بما قالوا: "إنَّ المريد الصبيَّ إذا جعل مريدًا لشيخ فهو بالاختيار بعد البلوغ إنْ شاء جعله شيخًا وإنْ شاء اتخذ لنفسه شيخًا آخر"؛ فاتخذته شيخًا موافقة لوالدي فيما اختار لي فلما مات والدي وشيخي رضي الله عنهما لبست خرقة مشايخ چشت من الشيخ عبدالحكيم بن الشيخ باجن –قدَّس الله سرَّه– ثم أردت صحبة شيخ يرشدني ويهديني على ما همتي من طريق الحق وقصدت بلاد ملتان، وصحبتُ الشيخ العارف بالله حسام الدين المتقى عليه الرحمة والغفران مدة ثم سافرتُ إلى الحرميْن الشريفيْن وصحبتُ الشيخ أبا الحسن البكري قدَّس الله سرَّه، وأخذتُ الخرقة القادريَّة، والشاذليَّة، والمدنيَّة، ولبستُ منه الخرق الثلاث من الشيخ محمد بن محمد السخاوي قدَّس الله سره". انظر: **زاد المتقين**، ص٨٧–٨٨.

يطوفون بالكعبة في حال السُّكْر والوجْد[٤٧].

وقد يكونُ من الصَّعب على كثيرٍ ممَّن ليس لهم دراية كاملة بالتصوف، أنْ يستوعبوا أحوالَهم الغريبة؛ ومن ثم، سيجدون أنفسَهم في بلاد العجائب والطرائف! ولكن يبدو أنَّ ذلك كان هو الحال آنذاك. ويحتوي الكتابُ على معلوماتٍ كثيرة ومتنوعة عن الصوفيَّة والتصوف في مكة، مع ذِكر حكاياتهم ونوادرهم، وقصصهم المتنوعة، وكراماتهم وأعجوباتهم. مثلما هو زاخرٌ بسِيَر الصوفيَّة وتراجمهم. ووفقًا لكلام الشيخ: حتى الإدارة العثمانيَّة المعنيَّة برعاية الحرم المكي، وضبط شئونها، كانت تعبِّر عن تقديرها واعترافها بالصوفيَّة والتصوف.[٤٨] وهذا يدلُّ على سيطرة الصوفيَّة الدينيَّة والروحيَّة على عامَّة الناس.

وذكَر الشيخ المحدث عن شهرة الشيخ علي المتقي وعظمته، فيقول: "إنَّ الناس في مكة يثنون عليه ويعُدّونه قُطبَ مكة في وقته[٤٩]"، وكان تلميذُه الشيخ عبد الوهاب المتقي على قدَمِ شيخه في الزهد والتورع والاستقامة، ومن هنا استمرَّ وضْع الشيخ عليّ المتقي وأهميته بعد مماته[٥٠]، وثمة صوفيّ معروف في وقته هو الشيخُ الحضرميُّ الذي قال عنه: إنَّ الشيخَ عليّ المتقي هو الرجلُ الوحيدُ في هذه المدينة الذي تُعَدُّ إجازتُه مصدرَ البركة والخير والنعمة[٥١].

٤٧- **زاد المتقين**، ص٣١٧-٣١٨.

٤٨- المصدر السابق، ص١٤٨.

٤٩- المصدر السابق، ص٧٦-١١٩؛ ومصطلح قُطب جمعها أقطاب والمراد به عند الصوفيَّة: الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان وهو على قلب إسرافيل عليه السلام ومنها القطبيَّة الكبرى: وهي مرتبة قطب الأقطاب وهو باطن نبوة محمد صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ فلا يكون إلا لورثته لاختصاصه عليه السلام بالأكمليَّة فلا يكون خاتم الولاية قطب الأقطاب على باطن خاتم النبوة للمعرفة عن مفهوم "القطب" انظر: عبدالرزاق الكاشاني المتوفى ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م: **معجم اصطلاحات الصوفيَّة**، تحقيق وتقديم وتعليق: عبدالعال شاهين، (القاهرة: دار المنار، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ص١٦٢، أيضًا راجع:

J. Spencer Trimingham, *The Sufi Orders in Islam*, (Oxford, Clarendon Press, 1971), pp.163-65.

٥٠- وفقًا لكلام الشيخ المحدث، كان أهالي الحرميْن الشريفيْن يعُدّونه "قطب الزمان" ويقولون للناس إنه: "عليكم يا أهل مكة بالشمعة المضيئة من الهند، وهو على قدَم الشيخ أبي العباس المرسي وسايرٌ على دربه" **زاد المتقين**، ص٧٦-٢٤٥-٢٤٦.

٥١- **زاد المتقين**، ص٢٠٨-٢٠٩؛ وقد كتب الشيخ الصوفي الشعراني في كتابه **"الطبقات الكبرى"** عنه قائلًا: اجتمعتُ به أيْ علي المتقي في مكة سنة سبع وأربعين وتسعمائة، وترددتُ إليه وتردد إليَّ، وكان عالمًا ورعًا زاهدًا نحيفَ البدن، لا تكاد تجد عليه أوقيَّة لحم من كثرة الجوع، وكان كثيرَ الصمت كثيرَ العـزلة، لا يخرج من بيته إلا لصلاة الجمعة في

وكان الشيوخُ الصوفيَّة يحرِّرون الإجازاتِ لمريديهم بعد قراءة بعض النصوص الصوفيَّة بتعمق مثل: دعاء حـزب البحر لأبي الحسن الشاذلي وشرحِه الذي قام به الشيخ أحمد زورق مع الإفاداتِ العلميَّة والتحقيقات والتدقيقاتِ وفقًا لكلام الشيخ المحدّث، وأوردَ الشيخ المحدثُ حديثَه مع شيخِه عبد الوهاب عن أهميَّة دعاء حزب البحر فأكَّد له شيخُه أنه يقضي الحاجاتِ، ويفرج الكروب، ويدفع البلايا وغيرها. وأخبره أنَّ الشيخ أبا الحسن الشاذلي أنشأه في البحر حيث طلب من مريديه أنْ يجهّزوا السفنَ للسفر إلى الحج والقيام في ميدان المعرفة على رغم من أنَّ موسم السفر للحجِّ قد انتهى في ذلك الوقت، وعلى كلٍّ قام مريدوه بتجيهز السفن وتوكَّلوا على الله وأُلهِم الشيخ أبو الحسن هذا الحـزبَ من النبيِّ -صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ- وهو على متن السفينة فسخَّر الله له الريحَ وانطلقَت السفينة برُكابها ووصلَت بهم إلى جدة ومن ثمّ بلغ مكة في الموسم دون أدنى مشكلة...ولما سأله الشيخُ المحدثُ عن بعض النقاطِ والإرشاداتِ والرموز ما إذا كانت حسب الشرع؟، أكَّد له شيخُه أنَّ كلَّ ما وردَ في هذا الحـزب مطابقٌ لأصول الشرع[٥٢]، ومتى كان الشيخ عبد الوهاب يحمل الإجازة من شيوخه لهذا الحـزب فقد حرَّر هو أيضًا الإجازةَ لتلميذه الشيخ المحدّث بعد ما قرأه وحفظَه تحت إشرافه[٥٣].

وذكر الشيخ المحدث نصَّ هذه الإجازة المكتوبة باللغة العربيَّة ومفادها: "قرأتُ هذا الحـزبَ الكريمَ على شيخي العارفِ بالله الشيخِ عليٍّ بن حسام الدين المتقي -رضيَ الله عنه- وهو قرأه على الشيخ أحمد الجمجم الروميّ المعروف بالجمجمة، وهو قرأه على الشيخِ الحافظ أبي عمرو عثمان الديلمي الذي كان يـزوره عـزرائيلُ -عليه السلام- قرأه على الشيخِ الإمام شمسِ الدين مُحمَّدِ بنِ العماد عن الشيخِ ناصر الدين مُحمَّدِ بن المليق الشاذليِّ عن جدِّه لأمِّه الشيخ شهابِ الدين أحمد بن المليق الشاذليِّ عن الشيخ الجليلِ تاجِ

الحرم، فيصلي في أطراف الصفوف ثم يرجع بسرعة، وأدخلني داره فرأيت عنده جماعة من الفقراء الصادقين في جوانب حوش داره، كل فقير له خُصٌّ يتوجه فيه إلى الله تعالى، منهم التالي، ومنهم الذاكر، ومنهم المراقب، ومنهم المطالع في العلم، ما أعجبني في مكة مثلُه...وقد أطلعني على مصحف بخطه كل سطر ربع حـزب في ورقة واحدة، وأعطاني فضة وقال: "لك المعذرة في هذا البلد، فوسع الله عليَّ في الحج ببركته حتى أنفقت مالًا عظيمًا من حيث لا أحتسب." انظر: عبدالوهاب بن أحمد بن علي الحنفي الشعراني، **الطبقات الكبرى،** (القاهرة: مكتبة محمد المليجي الكتبي، ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م)، ج٢، ص١٥٩.

٥٢- الشيخ عبد الحق، **زاد المتقين،** ص٢٤٢-٢٤٤.

٥٣- المصدر السابق، ص٢٤٦.

الدين أحمدِ بن عطاء الله السكندريِّ صاحب كتاب الحِكَم، وبسيدي الشيخ افتخارِ الدين ياقوتِ الحسني الشاذلي، وهو عن الشيخ الإمام الكامل أبي العباس المرسي، وهو عن الأستاذِ القُطب الكامل صاحب الإرشاداتِ العالية والأنوار الجليَّة العلويَّة نقطة بحار السالكين، وزمـزم آبارِ الواصلين عين الشاذليين أبي الحسن بن عليّ بن عبدالله بن الجبار بن تميم بن تميم بن هرمـز بن حاتم بن تقي بن يوسف الحسيني الفاطمي الشاذلي رضي الله عنهم، وهو لقَّنه سيدُ الأولين والآخرين وإمامُ الأئمة المتقين محمدٌ رسولُ الله، صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ وعلى آله وصحبه أجمعين".[٥٤]

ومتى كان الشيخ المحدث نفسه ينتمي إلى الطريقة القادريَّة كما أسلفنا فقد خصَّص كثيرًا من الصفحاتِ لدراسة أفكار هذه الطريقة ومعتقداتها ونشاطاتها الدينيَّة مع ذكرِ الأذكار والصلواتِ الخاصة التي كانت الصوفيَّة القادريَّة يقومون بها في الحرميْن الشريفيْن. ومن بين تلك العبادات أداء ركعتَي الأسرار الخاصة لهذه الطريقة الصوفيَّة التي كانت مذكورةً في كتاب "بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب الشيخ عبدالقادر الجيلاني"[٥٥]، وكان الشيخُ المحدث قد علَّمه الشيخُ الصوفيُّ عليُّ بن عيسى بجلي الشافعيُّ القادريُّ في المدينة المنورة[٥٦]، بعضَ الأوراد الدينيَّة للقيام بها بعد صلاة العصر، منها على سبيل المثال: "رضيتُ بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ نبيًا، وبسيدي الشيخ محيي الدين عبدالقادر شيخًا وقدوةً وإمامًا"[٥٧].

ويبدو مما كتبه الشيخُ المحدث أنَّ شيخَه عبد الوهاب لم يكُن يشجعه على ممارسة مثل تلك

٥٤- انظر: **زاد المتقين**، ص٢٤٤.

٥٥- يُعَدُّ هذا الكتاب من أهم المصادر الصوفيَّة، حيث تحدث عن مشايخ الطريقة القادريَّة، سطرها الشيخ اللخمي الشطنوفي المصري المتوفي سنة ٧١٣هـ/ ١٣١٣م. وتوجد منه عشراتُ المخطوطات في العالم، وطُبع طبعاتٍ تجاريَّة عديدة، قام الباحثُ جمال الدين فالح الكيلاني بدراسته وتحقيقه في رسالته للماجستير، ونشره باسم **بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب الباز الأشهب** (القاهرة: مؤسسة مصر مرتضى، ٢٠١١م).

٥٦- ذكر الشيخ ترجمته في المقصد الثالث، فيقول: "الشيخ علي بن عيسى البجيلي القادري كان ينتمي إلى قبيلة بجيلة في الحجاز، ومعظم مريديه من البدو، وكان يطعم الناس من الفقراء والمساكين ويوزع الخبـز على المحتاجين، والتقيتُ به في المدينة المنورة في أول زيارة ثم التقيتُ به مرة ثانية في مكة المعظمة وبعد أداء مناسك الحج لما عاد الشيخ إلى وطنه قضى عليه أحد أبناء شريف مكة لبعض الخلل في الشئون الإداريَّة جرى بسببه؛ وذلك في عام ٩٩٩هـ/ ١٥٩١م، انظر: **زاد المتقين**، ص٣١٣.

٥٧- انظر: **زاد المتقين**، ص١٦١.

الأذكار؛ لأنَّ شيخه علي المتقي والشيخ محمد بكري ما كانا يمارسان مثل تلك الأوراد، إلا أنها -وفقًا للشيخ عبدالحق-معروفة في الطريقة القادريَّة(٥٨)، ثم أشار الشيخُ المذكور إلى أنه ثمة صلاة أخرى كانت تُسمى في الطريقة القادريَّة باسم "دوگانه سلسلة قادريَّة"، ثم ذكَر الشيخُ المحدث تفاصيلَ هذه الصلاة وكيفيَّة أدائها مع ذِكر ألفاظ النيَّة: أنوي صلاة ركعتيْن هديَّة لسيدي الشيخ محيي الدين عبدالقادر الجيلانيّ"(٥٩).

ثم تطرَّق الشيخ المحدث إلى علاقة المريد مع الشيخ في الشؤون الدينيَّة وتأثيره القويّ في تقويم المريد ودوره وسيطًا في استجابة دعائه كما أخبره شيخُه عبد الوهاب. فيقول: "يجب على المريد أنْ يدعو الله من خلال وسيلة المشايخ؛ لأنَّ هذا هو الطريق الأمثل والفعال عند الصوفيَّة لاستجابته وحلّ مشكلاته الدينيَّة والدنيويَّة التي يواجهها المريدون"(٦٠). ثم يستطرد قائلًا: "وتؤكد لنا النصوصُ الأخرى أنَّ الصوفيَّ لاينبغي أنْ يقتصر على شيخِه لاستجابة دعائه فحسب بل يجب عليه أنْ يسعى إلى شفاعة المشايخ الآخرين"(٦١).

ثم يزيد فيقول: "وإنه من المعلوم أنَّ المبتدئ يحتاج إلى التركيز الخاصِّ على الشيخ والنظر في الفوائد الروحانيَّة الأخرى التي يحصل عليها من خلال مساعدة الشيخ، وعلاوةً على ذلك فإنه يجب عليه ألّا يحرم نفسه من فوائد زيارة قبور الصوفيَّة والصالحين الآخرين والتوسل إليهم ليفيد من كلِّ مفيد ويفيد لكلِّ مستفيد، ولولا ذلك لأُغلِقَت دونَه أبوابُ الارتقاء الروحانيِّ"(٦٢)، ولأجل التأكيد ذكر الشيخ المحدث نماذجَ عديدة للتوسل والرجوع إلى الشيوخ الأحياء والأموات. وحكى قصته، أنه في أثناء قيامه في مكة كان يتردَّد على قبر الشيخ عليّ المتقي ويعرض عليه أحوالَه الدينيَّة والعلميَّة ويشاهده في منامه مبشِّرًا له بالتوفيق والتسديد(٦٣).

وكذلك خصص الشيخ مقالاتٍ عديدة لتسجيل الأذكار وأهميتها عند الصوفيَّة ومنهم شيخه عبد الوهاب، فينقل من الشيخ قائلًا: وكذلك الذِّكر الذي يحتل مكانًا مهمًا جدًا عند الصوفيَّة، وطبقًا لأقوال

٥٨- انظر: **زاد المتقين**، ص١٦١-١٦٢.

٥٩- المصدر السابق، ص٣١٢.

٦٠- المصدر السابق، ص١٥٩.

٦١- المصدر السابق، ص١٦٢.

٦٢- المصدر السابق، ص١٦٢-١٦٣.

٦٣- المصدر السابق، ص١١٢-١١٣.

الصوفيَّة تكمن أهميَّة الذكر في أنه يساعد المريدين على الانصهار معًا في وحدة روحانيَّة ولا يمكن التعبير عن هذه الحالة أو وصفها بكلمات مكتوبة أو شفويَّة بل من خلال التجربة العمليَّة فقط، وهي حالة خاصة وكل مَن يمرُّ بها لا يمكن أنْ ينساها لأنها سوف تظل مفعمة بالنشاط والحيويَّة في ذهنه ودماغه للأبد وأكد لي شيخي عبد الوهاب أنه قد مرَّ بهذه المرحلة ولديه تجربةٌ خاصة بهذه الحالة،"[٦٤] ثم أشار الشيخ المحدثُ إلى كلام دار بينه وبين شيخه، حيث سأله عن وجود أحاديث شريفة تُستوحى منها هذه الطقوس والأساليب والطرق التي يتخذها الصوفيَّة في أعمالهم ونشاطاتهم الروحانيَّة؟. فأجابه الشيخ أنها في الحقيقة مستمدَّة من أفكار الطرق المقبولة عند الصوفيَّة ومن مقالات المشايخ الذين أثنوا عليها ولم يمنعوا من ممارستها."[٦٥]

ولا شك أنَّ هذه هي الإشكاليَّة التي يواجهها كلُّ من يقوم بدراسة التصوف وسير الصوفيَّة بحيث إنه يجد في الآداب الصوفيَّة أنه بدلًا من أنْ يجري البحثُ عن الحلول للقضايا الدينيَّة والفكريَّة في ضوء تعاليم القرآن والسُّنة يجري التنقيبُ والبحث عن تلك الحلول في أقوال الصوفيَّة، وملفوظاتهم، ومقالاتهم، وفي الأعمال والممارسات التي قام بها الصوفيَّة والمشايخُ في وقت سابق، والتي ليس لها أيُّ سند شرعيٍّ، ومن هنا تصير تلك الممارساتُ باسم الدين والشريعة مصدرًا مُهمًا للأجيال القادمة لفهم الدين والفكر الإسلاميِّ، وهنالك كثيرٌ من القضايا الإسلاميَّة والدينيَّة التي جرت محاولاتٌ -ولا تزال- لإيجاد الحلول لها بواسطة تلك المفاهيم والأفكار عبر العصور.

وعلى كلٍّ تطرَّق الشيخ المحدث لاحقًا لمظاهر تقديس الأموات في الفكر الصوفيِّ، والتي شاهدها خلال وجوده في مكة لدى الشيخ علي المتقي وعبد الوهاب المتقي مشيرًا إلى قيامهما ورغبتهما بتنظيم احتفال المواليد فكتب أنَّ الشيخ عبد الوهاب يقيم احتفالَ المواليد بأربع مناسبات، منها: مناسبة عيد مولد النبيِّ صلّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ، أمّا الاحتفالات الأخرى فتقام بمناسبة تاريخ وفاة كلٍّ من: الشيخ عبد القادر الجيلاني، وعلي المتقي، ووالده[٦٦].

ثم أشار الشيخُ المحدث إلى سؤال طُرح على شيخه عبد الوهاب من قِبَل أحد تلاميذه عمّا إذا كان يجوز عقدُ العرس في يوم آخر غير تخصيص يوم ذِكر وفاتهم فرد الشيخ قائلًا: إنه من الممكن قيامُه في يوم آخر

٦٤- انظر: **زاد المتقين**، ص١٥٧.

٦٥- المصدر السابق، ص١٥٧-١٥٨.

٦٦- المصدر السابق، ص١٤٢-١٤٣.

ولكن اليوم أيْ يوم وفاتهم الذي يظهر روحُ الإنسان أمام الله سبحانه وتعالى هو مصدرُ كلِّ خير وبركة"[٦٧].

ولعلَّ من المُجدي أنْ نذكر في هذا المقام أنَّ الشيخ المحدّث نقل عن شيخه عبد الوهاب أهميَّة المواليد، وحيثيتها، ومعنوياتها، ومقاصدَها في صفحات عديدة[٦٨]، وأكد أنَّ مناسبة المواليد فرصٌ لتقديم الطعام، والشراب للفقراء والمساكين، ومع أنها ليست من أركان الشريعة الإسلاميَّة إلا أنَّ الصوفيَّة مارسوها؛ فصارت من المباحاتِ[٦٩]، ولـترويج أفكار المواليد كان الصوفيَّة يكتبون في الإجازاتِ العلميَّة تاريخ مواليد الصوفيَّة الكبار للطريقة المعنيَّة.[٧٠]

ولأنَّ الكراماتِ وخوارقَ العاداتِ لها أهميَّة خاصة عند الصوفيَّة؛ يجدُر بنا ذكر ما تناوله الشيخُ المحدثُ في الفصل الرابع من المقصد الأول الذي خصَّصه لذكر المعجزات وخوارق العاداتِ لعلي المتقي[٧١]؛ ذلك لكي نرى كيف وقَع المتصوفة العلماءُ في الأعمال غير الشرعيَّة، وتجاوَزوا حدودَ الشرع، فيقومون بأعمالهم المشينة، وشطحاتهم بالكراماتِ، وخوارق العاداتِ، يذكر الشيخ المحدّث عن ادّعاء الشيخ علي المتقي أنه المهدي المنتظَر وقال إنه استمرّ في ادعائه يومًا أو نصف يوم[٧٢].

ونحن لا نريد الخوضَ في تفاصيل تلك الادعاءاتِ الباطلة للشيخ علي المتقي ولكن نذكر هنا نموذجاً من كراماته ذكره الشيخُ المحدثُ فيما سمعَه من بعض الصوفيَّة غير شيخه عبد الوهاب الذي لم يحب أنْ يخبره بذلك، فيقول: "مرة ادّعى الشيخ علي المتقي في الحرم المكيِّ أنه المهدي المنتظر فأخذ يصيح: (أنا المهدي الموعود، أنا المهدي الموعود)، وبينما كان في طريقه؛ حيث إنه كان يمرُّ بقرب بيت أحد مريديه الفقيه عبدالقادر الفاكهي وكان هذا الرجل الفقيه، يعتقد في الشيخ علي المتقي اعتقادًا بالغًا مثل مئاتِ الناس الآخرين وكان يرى أنَّ الشيخ لديه كراماتٌ من الله وأنه بلغ منـزلة عالية فاقَ بها غيرَه من الناس، وأنه صار

٦٧- انظر: **زاد المتقين**، ص١٧٦.

٦٨- وأشار الشيخ المحدث في الصفحاتِ العديدة إلى قيام احتفالات هذه المواليد وما يقومون فيها من الصوفيَّة، وأهالي مكة والمدينة مع ذكر بعض الأشعار من القصيدة للشيخ محمد بكري والتي كان يرددها الناسُ في الحرميْن الشريفيْن بمناسبة عيد ميلاد النبي صلّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ. انظر: **زاد المتقين**، ص٢٧٩- ٢٨١.

٦٩- عن ترتيبات المواليد وكيفيَّة تنظيمها وإقامتها في مكة المُكرَّمة، انظر: **زاد المتقين**، ص٩٥- ١٤٢-١٧٦.

٧٠- المصدر السابق، ص١٧٦.

٧١- المصدر السابق ، ص ١٠٩-١١٧.

٧٢- عن التفاصيل راجع: **زاد المتقين**، ص١١٣-١١٧.

يماثل الأنبياءَ في كراماتهم وقُربهم من الله وقد سبق وطلب من الشيخ مرة الدعاءَ له لإنجاب الولد، وعلى كلٍّ لما مرَّ الشيخ المتقي على بيته عائدًا من الحرم المكيِّ طلب منه أنْ يُحضِر زوجتَه لكي يُقبّلها حتى يجعل الله لها مخرجًا (هاتِ زوجك أقبّلها يرزقْها الله ولدًا!). ولدى سماع هذه الكلماتِ من شيخه جرى ذاك الفقيهُ مسرعًا إلى منـزله لإحضارها وعندما ثبت إخلاصُه دون شكٍّ، قال الشيخُ: حصل المقصودُ، حصل المقصودُ"[٧٣]. ومن المثير للدهشة أنَّ الشيخ المحدث ذكر هذه الواقعة كأنها حادثة طبيعيَّة تمامًا دون أيِّ حرَج أو استنكار ولم يُبدِ أيَّ ملاحظات وتحفظات عن هذه الحادثة العجيبة!.

وقد خصَّص الشيخ المحدثُ البابَ الرابع من المقصد الثاني لذِكر العجائب والغرائب والخوارق التي صادفها شيخُه عبد الوهاب في الهند وفي الحجاز خلال رحلته، وكان الشيخ عبد الوهاب يسردها في مجالسه العلميَّة من حين لآخر[٧٤] يتعلق بعضُها بعِلم الكيمياء والسيمياء لصناعة الذَّهب والفضة[٧٥]، وظهور بعض المخلوقاتِ العجيبة في الغابة، وخروج الشيخ ومَن معه بالسلامة منها[٧٦]، ومواجهة قُطاع الطرق[٧٧]، والخوارق والكرامات التي حدثَت في البحر بعد تحطيم السفينة، ووصول الشيخ إلى الساحل بعد قضاء أسابيع في البحر على الخشبة[٧٨].

وقد أفرد الشيخُ المحدثُ عددًا من الصفحات، لذكر بعض الكراماتِ والخوارق والإلهاماتِ والغيبياتِ لشيخه عبد الوهاب[٧٩]، والتي تتعلق برؤية النبيِّ صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ، والخليفة الرابع حضرة علي -رضيَ الله عنه- في المنام[٨٠]، وفي إحدى تلك القصص يروي الشيخُ المحدثُ عن شيخه المذكور آنفًا أنه مرة كان ذاهبًا إلى المدينة لزيارة النبيِّ صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ ومسجده، فطلب كلٌّ من الشيخ ياسين، والشيخ علي، وكانا ينتميان إلى سلالة الصوفيِّ اليمنيِّ الشيخ عبد الكريم اليمنيِّ، أنْ يُسلِّم على النبي -صلّى اللهُ عليْه

٧٣- انظر: زاد المتقين، ص١١٣-١١٤-١١٧.

٧٤- المصدر السابق ، ص٢٠٥-٢١٢.

٧٥- المصدر السابق ،ص٢٠٦-٢٠٨.

٧٦- المصدر السابق ، ص٢٠٩-٢١٠.

٧٧- المصدر السابق ، ص٢١١.

٧٨- المصدر السابق ، ص٢١١-٢١٢.

٧٩- المصدر السابق ، ص٢٠٢-٢٠٣-٢٢٨.

٨٠- راجع **زاد المتقين**، ص٢١٦.

وسَلَّمَ- نيابة عنها، ولدى وصوله إلى المدينة وقراءة السلام على قبر الرسول -صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ- نام الشيخ عبد الوهاب قليلًا يقول: ورأيتُ أنَّ القبة الخضراء فُتحت وخرج منها ولدٌ يحمل ورقة محررة من رسول الله -صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ- للشيخ ياسين والشيخ عليّ ففتحتها، ووجدت أنها تحمل الآية القرآنيَّة: ﴿نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾.(٨١)

وثمة مقالة خاصة تناول الشيخ المحدث فيها كراماتِ الشيخ عبد الوهاب المتقي وخوارق عاداته(٨٢)، يقول الشيخ المحدث: "وعلى الرغم من أنه يقال عنه إنه كان يحرص حرصًا تامًا على عدم إظهار هذه الكراماتِ ويبذل كلَّ مجهوداته في إخفاء نفسه عن أعين الناس تظهر كراماته أمام الناس". ثم نقل الشيخ المحدث عنه أنه ذكر في حلقاته العلميَّة بعضَ أهم خوارقه، منها أنه زار الجنةَ في منامه، وشاهد هناك بيت الصوفي أبي العباس المرسي، والشيخ علي المتقي، وأورد تفاصيلَ الجنة وما شاهدَها من النعم في بيوتهما(٨٣)، وكذلك ذكر في أحد مجالسه أنه قابل حضرة الخضر عليه السلام الذي ساعده بالطعام والشراب في الغابة(٨٤) كما أكد لهم أنه في الظروف الصعبة في السفر والحضر كان الجنُّ يأتي إليه، وإلى شيوخه، لاسيما الشيخ علي المتقى للمساعدة ولكنه ما كان يقبل مساعدته(٨٥).

٨١- انظر: **زاد المتقين**، ص٢٠٢-٢٠٣.

٨٢- المصدر السابق، ص١٩٠-١٩٢.

٨٣- المصدر السابق، ص١٩٠-١٩١.

٨٤- المصدر السابق، ص١٩٢.

٨٥- راجع **زاد المتقين**، ص٢٠٣-٢٠٤؛ ذكر الشيخ المحدث بالتفصيل، بشأن جماعة من الجنِّ، الذين كان يزورون الشيخ علي المتقى، الذي أخبر تلميذَه الشيخ عبدالوهاب، الذي أخبر بدوره الشيخَ المحدث عن ذلك. فقال: إنه كان هناك فريقان من الجنِّ؛ أحدهما من الصالحين؛ وثانيهما من الطالحين الذين يظهرون أمام الشيخ بزيِّ النصرانيين والفاسقين، وما كانوا يتحدثون إلى الشيخ؛ بل يكتب الشيخ لهم المكتوبات، وأراه الشيخُ عبدالوهاب مكتوبتين خطيتين من مكتوباتِ الشيخ علي المتقي، نقل الشيخ المحدث نصَّ إحداهما في كتابه المذكور والتي جاء فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله، من أحقر العباد عليِّ بن حسام الدين الشهير بالمتقي، إلى أعظم الجنِّ. السلام على مَن اتبع الهدى، فإنكم تراؤننا مدة مديدة، ولا تتكلمون معنا حتى نعرف ما هو مقصودكم، وإنَّ من أصحابنا رجلًا اسمه عبدالوهاب، إنْ شئتم اظهروا عليه، وأخبروا بمقصودكم يُغنكم في ذلك، اللهم أرنا الحق حقًا، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا، وارزقنا اجتنابه، وهذه الورقة مربوطة بسارية المسجد. والسلام." ويفيد نصُّ المكتوب الثاني: "الحمد لله الذي ما خلق الجنَّ والإنس إلا ليعبدوه أيْ ليعرفوه، فاعلموا، رحمكم الله تعالى ما خلقَكم

ووفقًا لبعض المقالات والحكايات المذكورة في الكتاب كانت ثمة عادة دينيَّة عند أهالي مكة المُكرَّمة ألا وهي دفنُ الموتى في قبور الصالحين، وذكر الشيخُ المحدثُ أنه قد تُوفي أحدُ أقرباء الشيخ المتقي بعد وفاته باثني عشر عامًا، وكان الناس يريدون دفنَه في قبر الشيخ المذكور المتوفى منذ اثني عشر عامًا، وقد حدث قبل هذه الواقعة أنَّ الناس دفنوا جثمانَ الشيخ الصوفيِّ عفيف الدين أبي السعادات عبدالله بن أسعد اليافعي المتوفى عام ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م في قبرِ الشيخ الزاهد الفضيل بن عياض المتوفى ١٨٧هـ/ ٨٠٢م. وعلى كلٍّ لما فُتِح قبرُ عليِّ المتقي لهذا الغرض وُجِدَتْ جثة الشيخ سليمة ولم تتحلل وكأنه دُفِن منذ دقائق[٨٦].

وقد ذكر الشيخُ المحدثُ بعض الشعائر الدينيَّة التي كان يمارسُها أهل المدينة عند الدعاء، منها ما كُتِب أنهم -أيْ أهالي المدينة- لا يرفعون أصواتَهم في المسجد النبويِّ -صلّى اللهُ وسلَّمَ على صاحبِه- ويوجِّهون وجوهَهم نحو قبر النبيِّ صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ حتى أنهم يعملون ذلك بعد الانتهاء من الصلاة مباشرةً، ومن عاداتهم أنهم يتوجَّهون في كلِّ المسائل الكبيرة والصغيرة إلى قبره -صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ- ويتوسَّلون إليه ويتشاورون معه لدرجة أنه لو أراد أحدٌ أن يستضيف شخصًا عنده كان يحضر إلى قبره -صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ- ويقول: لديَّ ضيوفٌ وأنا قمت بتجهيز هذا وذلك لضيافته ولكني ألتمسُ عنايتكم للخير واليمن والبركات[٨٧].

ويـزيد الشيخُ المحدث فيقول: إنَّ ألسنتَهم دائمًا رطبة بذكر الله وبذكر رسوله صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ حتى بائعو الخضروات والفواكه في الأسواق يردّدون اسمَ محمد صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ خلال نشاطاتِ البيع والشراء، وحدث مرةً أنه شاهدَ بائعَ الخضروات يرشُّ المياه على الخضروات والفواكه مرددًا اسم محمد صلّى

إلا لمعرفته، واتفق العلماء والحكماء على أنَّ معرفة الله لا تحصل إلا بالعلم والعقل والحكمة، فمن ترك الكلامَ مع الناس ولم يكلم أحدًا، لم يكن ليعرف الله، ومَن لم يعقل خيرًا من شرّ ونفعًا من ضر، لم يكن له ذلك أيضًا، فاجتهدوا رحمكم الله في أنْ تتكلموا مع الناس، وتعرفوا الله إياهم من الهادين المهديين ، هذا حقٌّ لـزم عليَّ، فأُسقطه عن ذمتي، وهذه نصيحتي، فليعمل من شاء". انظر: **زاد المتقين**، ص١١٨-١١٩-١٢٠. تدلُّ مثل هذه المقالات والوقائع على وجود ثقافة الخرافاتِ المنتشرة في المجتمع آنذاك، كما تفيد الرسالة أنه كان هناك عادة لدى الصوفيَّة والعلماء وعامة الناس بتعليق وربط الأوراق والتمائم، وما شابهها بسواري المسجد الحرام.

٨٦- انظر: **زاد المتقين**، ص١١٢.

٨٧- المصدر السابق، ص٣١٩.

اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ قائلًا: "يا بركةَ النبيِّ –صلّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ– تنـزَّلي ثم لن ترتحلي عنا أبدًا"(٨٨).

وعلى نحو مماثل، نجد فيما كتبه الشيخُ المحدث بشأن الكوارثِ والمصائب والمشاكل التي تحلُّ على الناس وموقفهم منها وكيفيَّة البحث عن الحلول لها، فيقول: فإذا أصيب أحدٌ بمكروه يأتي إلى قبر النبيِّ صلّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ ويصف معاناته ومشاكله قائلًا: إنَّ غلامَك وعبدك يا رسول الله أُصيبَ بهذه المصائب وبهذه الكوارث ويتوسَّلُ إليكَ أنْ تدعوَ الله لي لحلِّ مشكلتي وكشف مصائبي(٨٩)، وحينما يموتُ أحدٌ يأتون بنعشه إلى قبر الرسول –صلّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ–ويقفون لوهلة راجين منه الشفاعةَ والتوسلَ إلى الله، وبعد دفنه يرجع أهلُه وأسرتُه إلى قبرِ الرسول –صلّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ– مرة أخرى ويدعونه ويرجون منه التوسلَ إلى الله أنْ يلطف به ويرحمه(٩٠)، وفي بعض المناسباتِ الخاصة لاسيما في يوم الجمعة وفي أثناء الخطبة لما يدير الخطيب وجهه إلى القبر فيقول: "أنت رسولُ الله صلّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ" فتتحوّل رؤوسُ المصلين كلِّهم نحو القبر مردِّدين الصلاة والسَّلام(٩١).

وتفيد بعض المقالات، أنه ثمة خلاف شرعيّ حول مسألة شُرب القهوة في مكة آنذاك، ويبدو من بعض الوقائع أنَّ المغاربة كانوا يُحرِّمون شُربَها، فذكر الشيخُ المحدثُ هذه المسألة كما سمع من شيخه عبد الوهاب، فيقول: "سُئل الشيخُ بكري عن شُرب القهوة – وذُكر له أنَّ المغاربة يُحرّمونه ؟ فقال: كيف يُدعى بالحرام، وأنا أشربُ منها؟"(٩٢)

ويبدو فيما كتبَه الشيخُ المحدثُ عن قيام الصلواتِ الخمس في الحرم المكيِّ أنه كانت تُقام الجماعاتُ العديدة على حسب المذاهب الأربعة فيذكر من ضمن عباداتِ شيخه عبد الوهاب أنه كان يصلي صلاته بالجماعة على حسب المذهب الحنفيّ(٩٣)، ثم يذكر الشيخ المحدث عن صخب حدث في الحرم المكيِّ بسبب قيام الشوافع بأداء الصلواتِ في أول الوقتِ طبقًا لمذهبهم(٩٤) وهذا يدلُّ على أنه كان هنالك صراع بين

٨٨- المصدر السابق، ص٣٢٠.

٨٩- المصدر السابق، ص٣٢٠.

٩٠- انظر: **زاد المتقين**، ص٣٢٠-٣٢١.

٩١- المصدر السابق، ص٣٢٠.

٩٢- المصدر السابق، ص٢٧٥.

٩٣- المصدر السابق، ص١٦٩.

٩٤- المصدر السابق، ص١٧٠-١٧١.

الأحناف والشوافع من أجل فرض الهيمنة المذهبيَّة على الحرم المكيِّ.

وهنالك مصادر أخرى تفيد أنَّ الأحنافَ والشوافع يؤدون صلاتهم المغرب في المسجد الحرام كلّ على حدة وفي وقت واحد الأمر الذي كان يؤدي إلى التشويش على المصلّين وقد حُلَّت هذه المشكلة بتدخُّل السلطات العثمانيَّة(٩٥) وعلى كلٍّ لما رأى الشيخُ عبد الوهاب نيَّة تلميذه الشيخ المحدث في اعتناق المذهب الشافعيّ وكذلك شاهده يؤدي الصلوات في جماعة الشوافع في المسجد الحرام(٩٦)، وكذلك سبق، أنَّ الشيخ المحدثَ قال لشيخه مرة، إنَّ التعليمات الموجودة عن المسائل الدينيَّة في المذهب الشافعيِّ أكثرَ مطابقةً للأحاديث الصحيحة مقارنةً بالمذهب الحنفيِّ، فقال له: ينبغي أنْ يصلي كلُّ واحد وفقًا لمذهبه ومع أهل مذهبه، أنت تقضي معظمَ الوقت في مطالعة المشكاة التي تحمل الأحاديثَ الكثيرة في موافقة المذهب الشافعيِّ غير أنه ينبغي أنْ تعرف أنَّ ثمة أحاديث أخرى مذكورة في كُتب الأحناف وهي أيضًا مُرجّحة بالنسبة لتلك الأحاديث التي تدعم المذهب الشافعيَّ"(٩٧).

ويبدو من بعض المقالات أنه لم يكن هنالك تعصُّب مذهبيٌّ بين العلماء لدرجة الكراهية والنفور حيث نجد فيما كتبَ الشيخ المحدث في ترجمة الشيخ ابن حجر الهيتميّ أنه ألّف رسالة قيّمة تحت عنوان "قلائدُ العقيان في مناقب النعمان" في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة وفضائله، ووفقًا لقول الشيخ المحدث: "إنَّ هذا مظهرٌ من مظاهر كرامات الإمام الأعظم، وتصرُّفه، وروحانيته الذي دفع الشيخ الهيتميَّ إلى تأليف مثل هذه الرسالة الدفاعيَّة على الرغم من أنه شافعيُّ المذهب ويتعصب له...(٩٨)".

هذا وفيما ذكرت من النماذج والأمثلة من كتاب الشيخ المحدث من كلام وأعمال المتصوفة في الكرامات والخوارق والعادات التي يـزعمونها لأنفسهم أو لأوليائهم تعطي كلّها معلوماتٍ قيمة عن الوضع الدينيِّ في الحرميْن الشريفيْن آنذاك. وعلينا الآن الانتقال إلى ذكْر الحياة العلميَّة آنذاك.

رابعًا: الحياةُ العلميَّة في الحرميْن الشريفيْن كما جاء في كتاب "زادُ المتقين في سلوك طريق اليقين"

بجانب سرد الحياة الدينيَّة يضمُّ هذا الكتابُ بين دفتيه معلوماتٍ قيّمة عن النشاطات العلميَّة في

٩٥- انظر: جار الله بن العز بن النجم بن فهد المكي، **نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى**، تحقيق: الشيخ محمد الحبيب الهيلة، (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ج١، ص٤١- ٧٥.

٩٦- انظر: **زاد المتقين**، ص١٧٠-١٧١.

٩٧- انظر: **زاد المتقين**، ص١٧٢-١٧٣.

٩٨- المصدر السابق، ص٢٩٥.

الحرميْن الشريفيْن في ذلك الوقت. وهذا يظهر جليًا في العديد من المقالات المذكورة في الكتاب المعنيِّ بأنه خلال تلك الحقبة التاريخيَّة كان الحرَمان الشريفان يُعَدّان من أكبر المراكز التعليميَّة في الشرق والغرب لاسيما في مجال علم الحديث، واشتهر العديدُ من العلماء المتخصصين في هذا المجال الذين يتبوأون مركز الصدارة في منظومة التعليم والتدريس للعلوم الإسلاميَّة لا سيما علوم الحديث في الحرميْن الشريفيْن، وفي الوقت نفسه كانوا يحظون بمكانة عالية في مجال التزكية والسلوك بين الخاصَّة والعامَّة.

وتكشف القراءة العميقة والمتأنية للبيئة العلميَّة في الحرميْن الشريفيْن ولعلمائها مع التمعُّن في حياتهم وسيرهم أنه قد تأصَّلت الرغبة فيهم في العبادة والورع مما جعلهم يشدّون رحالهم للقدوم إلى الحجاز، وأنَّ معظمَهم بسبب وجودِ مثل تلك الدوافع الدينيَّة والعلميَّة استقروا في الحرميْن الشريفيْن. وقد غلبَت على هذه الفئة حياة الورع والـزهد إلا أنهم جعلوا التصوفَ مسلكًا لهم بجانب تخصُّصهم في الحديث والفقه وغيرها من العلوم الإسلاميَّة. وقد حدثَ ذلك بسبب انتشار الفكر الصوفيِّ في الشرق الإسلاميِّ ومنها شبه القارة الهنديَّة على وجه الخصوص.

وتفيد المصادرُ التاريخيَّة بأنه قبل وصولهم إلى الحجاز طافوا بالبلاد والعباد في خرْق التصوف إلى أنْ وصلوا إلى الحرميْن الشريفيْن، وبسبب علمهم الغـزير شاركوا بطبيعة الحال في النشاطات العلميَّة والتدريسيَّة بالمسجد الحرام، وكانت لهم مجالسُ ثابتة وحلق متنوعة للتدريس والإفادة في المسجد الحرام والمسجد النبويِّ، ووفقًا لكلام الشيخ المحدث نجد عددا كبيرا من هؤلاء العلماء الرواد الذين استقروا في مكة أو في المدينة إبّانَ تلك الحقبة التاريخيَّة وكانت نفوسُهم تميلُ إلى الزُّهد والورع، ويحبون الخلوة والانعزال والانقطاع عن الناس، ويفضِّلون التقشف في المعيشة، وبذلك حصلوا على المكانة الدينيَّة العالية والشهرة الكبيرة بين العامة والخاصة، وبين الطلاب والمتعلمين، بمقارنة أولئك العلماء الذين لم يكن لديهم أيُّ انتماء لأيِّ طريقة صوفيَّة أو أولئك الذين كانوا في صراع فكريٍّ مع التصوف والصوفيَّة آنذاك.

وكان من أبرز أولئك العلماء الصوفيَّة الذين شاركوا بنصيب وافر في إثراء دراسة الحديث النبويِّ بجوانبه المختلفة في مكة، وكرَّسوا جهودَهم في سبيل تفعيلها وتعميقها كلٌّ من الشيخ شهاب الدين ابن حجر مكيّ الهيتميّ، والشيخ علي المتقي الذي تُوفي قبل مجيء الشيخ عبدالحق المحدّث بعشر سنوات، ولكنْ الشيخ أدرك المحدث تلميذه ومريده، وهو الشيخُ عبد الوهاب المتقي كما أسلفنا[99]، ومن هنا نجد أنَّ الشيخ

٩٩- انظر: **زاد المتقين**، ص٧٨-٧٩.

المحدّث بجانب ذكر سيرة شيخه عبد الوهاب تناول ترجمة الشيخ علي المتقي بإسهابٍ كبير، ومن ضمن ترجمتها تناول الشيخ المحدث جوانبَ من حياة كثيرٍ من العلماء والصوفيَّة في مقالاتٍ عديدة. وهو ما سنراه في الصفحات التالية.

يبدأ الشيخُ المحدث بترجمة أشهر علماء الحديث في مكة المُكرَّمة حينئذٍ ألا وهو الشيخ عليُّ بن حسام الدين بن عبد الملك ابن قاضي خان المتقي الشاذلي المديني الجشتي البرهانپوري المهاجر إلى مكة المُكرَّمة والمدفون بها، وكان ينحدر من أصول أسرة عريقة أصلُها من منطقة جونپور الواقعة في شمال الهند غير أنَّ تلك الأسرة هاجرَت تلك المنطقة واستقرَّت في مدينة برهانپور الواقعة في جنوب الهند، حيث وُلِد الشيخ عليّ فيها عام ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م[١٠٠]، وسافر إلى الحرميْن الشريفيْن في سنٍّ صغيرة، وأخذ الحديث هناك عن مشايخ الحديث البارزين من أمثال "أبي الحسن الشافعي البكري"[١٠١]، والشيخ محمد بن محمد السخاوي المصري المتوفّى عام ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م[١٠٢]، والشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المكي وغيرهم[١٠٣].

وحصل على خرقة الطريقة القادريَّة، والشاذليَّة، والمدنيَّة، كما أخذ الطريقةَ الجشتيَّة عن الشيخ محمد بن محمد السخاوي المذكور، وقد كرَّس نفسه طول حياته لجمع نُسخ كُتب الأحاديث والتصوف، وبين أعماله القيمة جمع وترتيب كتاب جمع الجوامع للسيوطي، حيث قام فيه بالجمع بين كتابي **الجامع الصغير** وزوائده وكتاب **جمع الجوامع**، وسماه **كنز العمال في سُنن الأقوال والأفعال**[١٠٤]. ويُعَدُّ هذا الكتاب موسوعة

١٠٠- المصدر السابق، ص٧٩.

١٠١- انظر: **زاد المتقين**، ص٨٤.

١٠٢- المصدر السابق، ص٨٥.

١٠٣- المصدر السابق، ص٨٦.

١٠٤- قد كتب الشيخ علي المتقي سببَ تأليف الكتاب والمنهج الذي سلكه في إخراجه، فقال: "لما رأيتُ كتابي الجامع الصغير وزوائده تأليفي شيخ الإسلام جلال الدين السيوطي عامله الله بلطفه ملخصًا من قسم الأقوال من جامعة الكبير وهو مرتب على الحروف، جمعت بينها مبوبًا ذلك على الأبواب الفقيه مسميًا الجمع المذكور: (منهج العمال في سنن الأقوال)، ثم عنَّ لي أنْ أُبَوّبَ ما بقى من قسم الأقوال فأُنجز بحمدالله وسميتُه (الآمال لمنهج العمال) ثم مزجتُ بين هذين التأليفين كتابًا بعد كتاب، وبابًا بعد باب، وفصلًا بعد فصل، مميزًا أحاديثَ الإكمال من منهج العمال، ومقصودي من هذا التمييز أنَّ المؤلف ذكر أنَّ الأحاديث التي في الجامع الصغير وزوائده أصحُّ وأخصرُ، وأبعَدُ من التكرار، كما يعلم من ديباجة الجامع الصغير، فصارا كتابًا سميته (غاية العمال) في سنن الأقوال ثم عنَّ لي أنْ أبَوِّب قسم الأفعال أيضًا، فبوبته على المنهاج المذكور، وجمعتُ بين أحاديث الأقوال والأفعال، وأذكر أولًا أحاديثَ منهج العمال، ثم أذكر

شاملة وقيّمة للغاية، واشتهر بين الأوساط العلميَّة، وبسبب هذه المجهودات التي بذلها الشيخ عليّ المتقي في مجال علم الحديث، أثنى عليه الشيخُ أبو الحسن البكريّ الشافعيّ ثناءً حارًا، وقال: "إنَّ للسيوطي منَّةً على العالمين وللمتقي منة عليه"[١٠٥]. ويقال إنَّ مؤلفاته بلغَت نحو مائة مؤلف ما بين صغير وكبير، معظمها تحمل الإرشادات للسِّيَر على الطريقة والسلوك، وهذه الكتبُ سطَّرَها الشيخ باللغتين العربيَّة والفارسيَّة. وأول كتاب ألَّفه في التصوف باسم "**تبيان الطريق**[١٠٦]"، أما الثاني فهو "**مجمع الحِكَم الكبير**" الذي يعالج المواعظ، والحكم في ضوء تعليماتِ القرآن، والأحاديث النبويَّة، وأعمال المشايخ[١٠٧].

ثم خصَّص مقالاتٍ عديدة لذِكر رغبة الشيخ علي الجامحة في جمع الكتب خلال وجوده في مكة، فيقول: "أخبرَني شيخي عبد الوهاب بأنه كان ينشغل بالُه دائمًا في البحث عن الكتب القيمة وشرائها، ويدفع ثمنًا باهظًا للحصول على نُسَخ مكتوبة بخطٍّ جيد[١٠٨]، وكان يطلب نُسَخًا لكتب نادرة للحديث، والتصوف، ويوظف الطلبة والباحثين والنساخين لنسخها ويرسلها لمن يهمُّه الأمر والباحثين والدارسين مجانًا في الحجاز

أحاديثَ الإكمال، ثم أحاديث قسم الأفعال كتابًا بعد كتاب فصار ذلك كتابًا واحدًا، مميزًا فيه ما سبق بحيث إنَّ مَن أراد تحصيل قسم الأقوال أو الأفعال منفردًا، أو تحصيلهما مجتمعين أمكنه ذلك وسميتُه (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) فمَن ظفر بهذا التأليف، فقد ظفر بجمع الجوامع مبوبًا مع أحاديث كثيرة ليست في جمع الجوامع...". للتفصيل راجع المتقي الهندي، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، تحقيق، صفوت السقا وبكري الحياني، (بيروت: مؤسسة الرسالة، دون تاريخ)، ج١، ص ٣-٤.

١٠٥- انظر: **زاد المتقين**، ص٨٥.

١٠٦- نقل مترجم زاد المتقين إلى الأرديَّة نصَّ هذه الرسالة المكتوبة باللغة العربيَّة في الكتاب المذكور والتي تقع في ستة صفحات. انظر: **زاد المتقين**، ص١٢٣-١٢٩.

١٠٧- انظر: **زاد المتقين**، ص٨١.

١٠٨- انظر: **زاد المتقين**، ص٩١-١٠٠؛ وفي ذلك المقام ذكر الشيخُ المحدثُ في ترجمة ملا علي قاري المتوفى عام ١٠١٤هـ/ ١٦٠٦م، كونه من الخطاطين البارعين، ووفقًا لقوله: اسمه الكامل، هو نور الدين علي بن السلطان محمد القاري الهروي الفقيه الحنفي صوفي المشرب، وُلِد في هراة من نواحي خراسان، ونشأ وترعرع فيها، ثم رحل إلى مكة، وتتلمذ فيها على عدد من أعلامها كأبي الحسن البكري، وابن حجر الهيتمي وغيرهم، وإنه معروف بخط حسن، ويشتري الشيخ عبدالوهاب الكتب المنسوخة منه بثلاثة دراهم، وحدث مرة أنه أتى بنسخة كتاب نسخه هو فدفع له الشيخ ١٢ درهمًا بسبب جودة كتابته، وأيضًا كان أنَّ الشيخ ملا علي القاري يعاني من الفقر والإفلاس في ذلك الوقت". انتهي، انظر: **زاد المتقين**، ص٩١.

والهند[١٠٩]، وقد حدَث مرة أنه اشترى نسخةً لكتاب **"المواهب اللدُنيَّة بالمنح المحمديَّة** للشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن أبي بكر الخطيب القسطلانيّ الشافعيّ المتوفى ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م" بثمن ٣٠ درهمًا على الرغم من أنَّ البائع طلبَ عشرين فقط، وقد أرسل بعض النسخ لهذا الكتاب إلى الكجرات، ووفقًا لكلام الشيخ المحدث كلّ النسخ لهذا الكتاب التي توجد في الهند في تلك الحقبة أرسلها الشيخ علي المتقي على حسابه الخاص[١١٠]، وكان يتكسَّب من نَسخ المخطوطاتِ مثل كثير من النساخين المجاورين في مكة، كما كان يقترض الأموال لبعض الأحيان لشراء الكتب، كان يسدِّدها لدى وصول الفتوح إليه من جهةٍ ما[١١١].

وتفيد بعض الصفحاتِ باهتمام علماء مكة بتأليف الكتب المتعلقة بمناسك الحج والعمرة للعلماء وعامة الناس للاستفادة، وفي هذا الصَّدد ذكر الشيخُ المحدثُ كتابَ **"مسالك الحج"** لصاحبه رحمة الله السندهي والذي أثنى عليه الشيخُ المحدث قائلًا: "هذا الكتابُ دقيقٌ وشاملٌ بين أقرانه من الكتب والرسائل المكتوبة حتى الآن، وبسبب دقَّتِها اهتمَّ العلماءُ وحتى أهالي مكة بنسخِه ونَشرِه لغرض الإفادة منه على أوسع نطاق مما أدّى إلى تداوُل كبير له في الحجاز وخارجها"[١١٢].

وتدلُّ كلُّ هذه النماذج على أنه كانت هنالك حلقاتٌ خاصة في الحرم المكيِّ لنسخ الكتب المهمة وتداولها، ونشرها بين العلماء والصوفيَّة، مثلما تقوم دورُ النشر في الوقت الحالي. وتؤكد لنا أيضًا تلك الأخبارُ والمقالاتُ أنه كان ثمة اهتمام كبير لدى العلماء بنشر العلوم الشرعيَّة من خلال نَسخ الكتب الدينيَّة وتوزيعها في الحرميْن الشريفيْن وخارجهما. وبعض العلماء مثل الشيخ عبد الوهاب يبذلون أموالَهم بسخاءٍ في اقتناءِ الكتبِ المخطوطة.

ومن ضمن ترجمةِ الشيخ عليّ المتقي ذكَر الشيخ المحدث علاقته مع أركان الدولة العثمانيَّة لاسيما

١٠٩- انظر: **زاد المتقين**، ص ٩١.

١١٠- انظر: **زاد المتقين**، ص١٠١-١٠٢.

١١١- انظر: **زاد المتقين**، ص٩٥؛ الفتح أو الفتوح في اصطلاح الصوفيَّة عمومًا: هو كل ما يُفتح على العبد من الله تعالى بعد ما كان مُغلَقًا عليه من النِّعم الظاهرة والباطنة، كالأرزاق، والعباداتِ، والعلوم والمعارف، والكاشفاتِ وغير ذلك. انظر: عبد اللطيف أحمد العبد، "الفتح"، **موسوعة التصوف الإسلامي**، إشراف وتقديم: محمود حمدي زقزوق، (القاهرة: وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلاميَّة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)ط.٢، ص٦٢٢؛ وكان الصوفيَّة في الهند يستخدمون هذا المصطلح في معنى الأرزاق التي تأتي إليهم دون سؤال أحد.

١١٢- راجع زاد المتقين، ص٩٩.

القضاة والعلماء، منهم على سبيل المثال القاضي محمد المالكيّ الذي كان يعتقد في الشيخ عليّ المتقي اعتقادًا بالغًا، ويستمع إلى كلماتِ الشيخ الإصلاحيَّة والإرشاديَّة، ويوفر له منـزله الخاصّ في مِنَى خلال موسم الحج دون طلب الشيخ ذلك(١١٣)، القاضي حسين المالكي الذي كان وزيرًا في مكة من جانب شريف مكة، وطبقًا لرواية الشيخ المحدث كان القاضي المذكور يُعرف بالظلم والجور والفساد، ولكنه يعتقد في الشيخ عليّ المتقي الذي اجتهد في تقويمِه وإصلاحه وإرشاده من خلال إلقاء المواعظ الشديدة والقاسية، وكان القاضي يستمع إلى الشيخ ويبكي ويعترفُ بذنبه ويعبِّر عن التواضع الجَمِّ، ويطلب من الشيخ الدعاء له بالإصلاح والسّير على الطريق المستقيم(١١٤).

وبعد كتابة ترجمة شيخ شيخه، انتقل المحدث الدهلوي إلى شيخه عبد الوهاب المتقي المكيّ، فقال: إنه وُلد في الهند، وتجوّل في معظم المناطق الهنديَّة المعروفة في العلم والسلوك والتزكية آنذاك، ووصل إلى مكة المباركة في سنٍّ مبكرة، وأدرك الشيخ عليّ المتقي(١١٥)، ولما كان الشيخ عبد الوهاب خطاطًا ماهرًا فشغله أستاذه المذكور في نسخ الكتب، فكان يكتب العربيَّة بخطِّ النستعليق، ولكن سرعانَ ما تأثَّر بشيخه وبدأ يكتب بخط النسخ لأنه خطُّ القرآن الكريم، وتحسَّن خطُّه بسرعة(١١٦).

"وفي رعاية الشيخ عليّ المتقي وإشرافه نبغَت موهبته وقدرته في العلم والمعرفة والتزكية والسلوك، حيث أخذَ عنه العلمَ والمعرفة والسلوك وأسندَ الحديثَ عنه وعن غيره من المشايخ الموجودين في مكة المُكرَّمة آنذاك، ونقل الشيخُ المحدثُ كلامَ علماء مصر والشام واليمن ومشورتهم على الناس في مكة المُكرَّمة لأخذ العلم والمعرفة عن النور الهنديِّ الساطع؛ أيْ الشيخ عبد الوهاب"(١١٧)، و"كان مشايخ الحرميْن الشريفيْن يعتقدون فيه خيرًا وصلاحًا، وكان يُعَدُّ من أعلم علماء الحرميْن الشريفيْن مثل: الشيخ أبي العباس المرسيّ، وأبي الحسن الشاذليّ"(١١٨)، و"قد حفظ قاموس مجدد الدين الفيروزآبادي عن ظهر قلب، كما حفِظ الأحاديث

١١٣- راجع زاد المتقين، ص١٧٨.

١١٤- راجع زاد المتقين، ص١٨٤.

١١٥- راجع زاد المتقين، ص١٣٦.

١١٦- انظر: **زاد المتقين**، ص١٣٧.

١١٧- "عليكم يا أهل الحرميْن بالشمعة المضيئة من الهند فاستضيئوا به" انظر: **زاد المتقين**، ص١٣٩.

١١٨- المصدر السابق، ص١٣٩.

النبويَّة والمسائل الفقهيَّة، وكانت له صدارة ومكانة خاصة في علم التصوُّف"[119].

والكلامُ لا يزال للشيخ المحدث: "وعلى الرغم من أنه كان يهتمُّ بعلم التصوف اهتمامًا بالغًا إلا أنه لا يؤيد قراءةَ كُتب بعض الصوفيَّة، ومنهم على سبيل المثال أعمالُ الشيخ الصوفيّ ابن عربي المتوفّى ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م، مثل "الفتوحات المكيَّة"، وكذلك أعمالُ الشيخ عبد الكريم الجيلي المتوفى ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م، من مثل "الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل"؛ لأنه يرى أنها مـزيجٌ من السُّكّر والسُّمّ[120]، ولكنه يقول إنَّ المرء ليس بحاجة إلى التسرع في إدانة هذه الشخصيات إنما يجب علينا أنْ نفكر في النقاط التي نجدها ما فوق الفهم والدراية..."[121]. ثم ينقل الشيخُ المحدث كلامَه إلى نشاطاته العلميَّة والتدريسيَّة في الحرم المكيِّ فيقول: "وتصدَّر الشيخ عبد الوهاب للدرس والإفادة في الحرم المكيِّ لسنوات عديدة، وأخذ عنه خلْقٌ كثير، ويحاضر في ثلاث لغات أيْ اللغة العربيَّة والفارسيَّة والهندوستانيَّة؛ وذلك وفقًا للحاضرين من الطلبة والمريدين في حلقته، ولأنه فقدَ بصره فاضطر إلى تنظيم تلك الحلقات العلميَّة في منـزله، ويقضي بعض أوقاته في عمليَّة مراجعات ونسخ الكتب[122] ومن بين الكتب التي صحَّحَها وراجعَها بدقة بالغة "الأشباه والنظائر" لابن نجيم الحنفيّ المصريّ المتوفى عام ٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م[123]. وصحّح كتاب "مشكاة المصابيح" بالتعاون مع الشيخ المحدث[124].

وفي نهاية الباب الخامس من المقصد الثالث ذكر الشيخ عن حجِّه الثاني، وزيارة المدينة المنورة مرة ثانية وانشغاله في نسخ وتصحيح بعض كتب الأحاديث والسلوك ومواظبته على الحضور في الحلقات العلميَّة في الحرم المكيِّ، وفي بيوت الشيوخ، وذكرها بالتفصيل عن المواد الصوفيَّة التي نصحَه شيخه للقراءة العميقة، كما خصَّص مقالاتٍ عديدة لبيان كيفيَّة اجتيازه وحصوله على الخرقة والإجازة من شيخه عبد

١١٩- المصدر السابق، ص٢١٢-٢١٣.

١٢٠- المصدر السابق ، ص ١٤٥-١٤٧.

١٢١- المصدر السابق ، ص ١٤٦.

١٢٢- انظر: **زاد المتقين**، ص١٥٣-١٥٤.

١٢٣- المصدر السابق، ص١٥٤.

١٢٤- حكى الشيخ المحدث بالتفصيل عما جرى بشأن تصحيح كتاب "**مشكاة المصابيح**"، المصدر السابق ، ص٢١٣-٢١٤.

الوهاب[١٢٥]، ويتضح من بعض تلك المقالاتِ أنَّ الشيوخ والعلماء في مكة كانوا يقدِّمون قراءة كتب الصوفيَّة وتدريسها على كتبِ الأحاديث والفقه.

ثم استطرد الشيخ المحدث قوله أنه لما عاد من المدينة في حجِّه الثاني وفرغ مما بقي من قراءة ونسخ مشكاة المصابيح وجد نفسه متعطشًا لمزيد من التعمق في مجال علوم الحديث فلم يشفِ غليله من مشكاة المصابيح وغيره من الكتب التي قرأها على شيخه، وكان يريد من شيخه أنْ يُلقي الدروس الخاصة في البخاري ومُسلِم، ولكن الشيخ أشار عليه بقراءة كتب السلوك والتزكية، وامره ان يقرا كلا من **"قواعد الطريقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة"** للشيخ أحمد زورق، و**"الحِكم العطائيَّة"** لابن عطاء الله السكندريِّ المتوفى ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م في حلقاته العلميَّة، يقول الشيخُ المحدثُ: "ولما انتهينا من دروس هذه الكتب فكَّر هذا الفقير أنْ تجري دورة الأحاديث من كتابي صحيح البخاري ومُسلِم فيكون نورًا على نور ولولا ذلك فعلى الأقل يقرأ بعض الأجـزاء من كتاب مُسلِم سندًا في حلقته[١٢٦]"، وبعد إلحاح الشيخ المحدِّث قرَّر الشيخ عبد الوهاب قراءةَ جـزء من كتاب مُسلِم في يوم الجمعة المبارك[١٢٧].

وأتى الشيخ المحدثُ بالتفصيل في صفحاتٍ أخرى أسماء تلك الكتب الصوفيَّة التي أشار عليه شيخُه عبد الوهاب للقراءة في حلقاته التدريسيَّة، منها **"حكيم كبير"**، و"فقر محمدي"، و**"تبيين الطريق"**، ورسائل الشيخ أبي الحسن البكري، وبعض الأجزاء من جامع كبير و"عوارف المعارف" مع كتابة بعض الأشغال والأدعية المتعلقة بالتصوف[١٢٨]، وفي نهاية المطاف ذكرَ الشيخُ المحدثُ عن تلك الإجازاتِ في العلوم الشرعيَّة، والأحاديث النبويَّة، والخرقة في السلوك والتزكية التي حصل عليها من الشيخ عبد الوهاب[١٢٩]، ويجدر بي هنا أنْ أنقل نصَّ إجازته العامة التي منحَها للشيخ المحدِّث، والتي نقلها الأخيرُ بنصٍّ كامل في كتابه المعني تحت عنوان: **"خلافت نامه"** أيْ شهادة أهليَّة الإرشاد والتزكية. وقال: "هذه هي **"خلافت نامة"** التي منحها شيخي هذا الفقيرَ، والتي تحمل بين طياتها ذِكْر بعض الطرق الصوفيَّة"[١٣٠]، ونصّ الإجازة

١٢٥- المصدر السابق، ص٢١٢-٢٥١.

١٢٦- المصدر السابق، ص٢٣٠.

١٢٧- المصدر السابق، ص٢٣١.

١٢٨- انظر: **زاد المتقين**، ص٢٤١-٢٤٢.

١٢٩- المصدر السابق، ص٢٤٩.

١٣٠- المصدر السابق، ص٢٥١.

يفيد:

"الحمدُ لله الذي نوَّر سماء قلوب العارفين بشمسِ الهداية والعرفان، وشرحَ صدور المريدين الصادقين بالإسلام والإيمان والإيقان والإحسان، والصلاة والسلام على رسولِه محمد المبعوث لإيصال المريدِ إلى المراد، وعلى آلِه وصحبه، وعتـرتِه الأطهار الأمجاد.

أمّا بعد:

فيقولُ الفقيرُ إلى الله عبد الوهاب بن وليِّ الله: إني ألبَست خرقة المشايخ الصوفيَّة قدَّس الله تعالى أسرارهم، الشيخَ الصالحَ الأخَ في الله، الشيخَ عبدالحق ابنَ الشيخ سيف الدين وفَّقَه الله لما يحبُّ ويرضى، ووصيتُه بأنْ يجتهدَ في السير والسلوك، ويعملَ بالنصائح المودَعة في كُتب السلوك، ويُخلِصَ في النيَّة، ويجتنبَ الرياءَ والكبـرَ والسمعةَ والطمعَ في المخلوقين وغير ذلك من الذمائم، ويرغبَ في الفقر والفاقة والقناعة والزهد واليأس من الناس وغير ذلك من المحامد. وأذنت له أن يتوِّبَ مَن تاب على يديْه، ويلقِّن من طلب منه التلقين، ويُجري المقراض على رؤوس المريدين ناويًا به قصرَ آمالهم، ويوصيهم بما يقرِّبهم إلى الله عـزَّ وجلَّ، ويُلبِسَ الخرقةَ مَن كان لها من الطالبين، وينبغي أنْ يجري المقراض بعد الفراغ من التتويب، وبقراءة الفاتحة بعده، ثم يضع يدَه على صدر المريد، ثم يعلِّمه طريقَ المشايخ الصوفيَّة، ثم يلبس الخرقة، وأجـزتُ له أنْ يخدمَ الفقراءَ المساكين والواردين والصادرين حسبَ المقدرة، وأنْ يأخذ النذورَ المنسوبة إلى المشايخ الصوفيَّة ويصرفها في حوائجِه وحوائج الفقراء والمساكين، وأنْ يدبر الزنبيل وقتَ الحاجة بنفعِه أو بأمر أصحابه بذلك، ويصرف حاصله فيما يريد من حوائجه وحوائج الفقراء، وأنْ يتحملَ جفاءَ الناس، ويصبر على إيذائهم، ولا يغضبَ على الخادم إلا لله، وأنْ يرفع العلَمَ الأخضرَ إذا سافر أو خرجَ في الجماعة، وأنْ يجتنبَ صحبةَ أهل الدنيا والبدع والرياء والسُّمعة، ويخالفَ اللذاتِ والشهواتِ بالكليَّة إلا أنْ يكونَ له في ذلك نيَّة، وأنْ يسترَ عيوبَ الناس وأنْ يكونَ ذا همَّةٍ عالية، ويترك المراءَ والغضبَ، ويذكر الله ذكرًا كثيرًا في الخلوة ومع الجماعة، ويحضر الجمعة والجماعاتِ، ويمكثَ في المسجد بعد الفجر إلى أنْ تطلع الشمسُ إلا أنْ يخافَ الرياء فيختارَ لنفسه مكانًا خاليًا، ويعمّر أوقاتَه بأنواع العباداتِ، ويستفيد من كلِّ مفيد، ويفيد كلَّ مستفيدٍ، ويعاملَ الصغيرَ معاملةَ الوالد مع الولدِ، والكبير بالعكس، وغيرهما كالأخ.

ويوصي المريدَ وقت الإرادة بأداء الفرائض، وإنْ كان غنيًا يأمره بإخراج الزكاة، وإنْ كان له أبوان يأمره ببرِّهما، وإنْ كان معه الأهل والأولاد يأمره بحُسن المعيشة معهم وبتوسيع الإنفاقِ عليهم قدْرَ طاقته، ويحذرَ غوائلَ النفس في الجلب والدفع والردِّ والقبول والإقبال والإدبار، وأنْ يستسلمَ للأحكام الإلهيَّة

القهريَّة، ويُنصفَ في أداء حقوقِ الغير... ولا يعمل بالسماع كما يعمل صوفيَّة هذا الـزمان، ولا يعظَ الخلقَ بالحقائق والرقائق والدقائق بل يبيّن للخلق علمَ المعاملات وما ينتهون به عن العيوب، ولا يُقدِّمَ علمَ الباطن على الظاهر، ولا يكتفي بالظاهر عن الباطن، ويطالعَ كل يوم من الحِكَم الكبيرة، ويجعله رفيقًا في سفرِه وأنيسًا في حضر ففيه ما في جميع كتب الصوفيَّة.

ويشتغل بمطالعة كتب الغـزالي كالإحياء، ومنهاج العابدين[١٣١] لا كالنفح والتسوية والمضمون به عن غير أهله، ويجعل نُصبَ عينيه كتابَ "عين العلم"، وأنْ يجعل لنفسه أربعَ ساعات؛ ساعةً يحاسب فيها نفسَه، وساعةً يناجي فيها ربَّه، وساعةً يفضي فيها لإخوانِه الذين يبصِّرونَه بعيوبه ويدلُّونه على ربِّه، وساعةً يُخلي فيها بين نفسه وبين شهواتها المباحة، وأنْ يلازم الخريطةَ العليَّة المُتَّقيَّة بآدابها وشروطها فهي الأصلُ والمدارُ عليها في تحصيل جميع الطاعاتِ وتجنُّب المعاصي، والاهتداءُ بها مفتاحٌ لفتح أبواب الغيوب ومصقلة تنوير سرايا القلوب، ولها أسرارٌ بديعة وآثار عجيبة يعرفها مَن داوَم عليها مداومةً معتبَرة عند أهلها، وينبغي له أنْ يتوسل المشايخَ إلى الله تعالى فإنها أسرعُ لقضاء الحاجاتِ الدينيَّة والدنيويَّة خصوصًا لحلِّ المشكلات التي تعتري قلب المريد، وقال غوثُ الثقلين القطبُ الرباني سيدي الشيخ محيي الدين عبدالقادر الجيلاني -رضي الله عنه-: لأهل المجاهدة والمحاسبة وأولي العـزم عشرُ خصالٍ أخذوها لأنفسهم فإذا أقاموها وأحكموها -بإذن الله تعالى- وصلوا إلى منازل الشريعة[١٣٢]:

الأولى: ألا يحلف بالله -عزَّ وجلَّ- لا صادقًا ولا كاذبًا ولا عامدًا ولا ساهيًا؛ لأنه إذا أحكم ذلك من نفسه وعوَّد لسانه دفعَه ذلك إلى ترك الحلف ساهيًا وعامدًا فإذا اعتاد ذلك فتحَ الله عليه بابًا من أنواره يعرف منفعةَ ذلك في قلبه ورفعة درجته وقوة في عزمه وفي صبره، والثناء عند الإخوان، والكرامة عند الجيران حتى يأتمَّ به مَن يعرفه، ويهابَه مَن يراه.

الثانية: أنْ يجتنب الكذبَ لا هازلًا ولا جادًا؛ لأنه إذا فعل ذلك وأحكمه من نفسه واعتاده لسانُه شرحَ الله تعالى به صدرَه وصفا به علمُه كأنه لا يعرف الكذب، وإذا سمعَه من غيرِه عابَ ذلك عليه وعيَّره به

١٣١- عنوانه الكامل: **منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين**، وهو يحوي مقالاتٍ خاصة بالتزكية والسلوك والعرفان. تحقيق محمود مصطفى حلاوي، (بيروت: دار البشائر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص ٢٨-٢٩.

١٣٢- نقل الشيخ عبدالوهاب "المقالة الثامنة والسبعون في أهل المجاهدة والمحاسبة أولى العزم وبيان خصالهم" من كتاب الشيخ عبدالقادر الجيلاني، **فتوح الغيب**، (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م)، ص ١٧١-١٧٦.

في نفسه، وإنْ دعا له بزوال ذلك كان له ثواب.

الثالثة: أنْ يحذر أنْ يَعِدَ أحدًا شيئًا فيخلفَه! ويقطع العِدَةَ البتة فإنه أقوى لأمره وأقصد لطريقه؛ لأنَّ الخلف من الكذب فإذا فعل ذلك فُتح له بابُ السخاء ودرجة الحياء، وأُعطي مودةً في الصادقين ورفعةً عند الله جلَّ ثناؤه.

الرابعة: أنْ يجتنب أنْ يلعنَ شيئًا من الخلْق، أو يؤذي ذرَّة فما فوقها؛ لأنها من أخلاق الأبرار والصديقين وله عاقبةٌ حسنة في حِفظ الله تعالى في الدنيا مع ما يُدَّخَر له من الدرجاتِ ويُستَنقَذ من مصارع الهلاك، ويُسلِّمُه من الخلق، ويرزقه رحمةَ العباد، ويقرِّبه منه عزَّ وجلَّ.

الخامسة: أنْ يجتنب الدعاء على أحدٍ من الخلق وإنْ ظلمه فلا يقطعه بلسانه ولا يكافئه بقول ولا فعل؛ فإنَّ هذه الخصلة ترفع صاحبها إلى الدرجاتِ العلى، وإذا تأدَّب بها ينال منـزلةً شريفة في الدنيا والآخرة والمحبة والمودة في قلوب الخلق أجمعين من قريب وبعيد، وعزَّ في الدنيا في قلوب المؤمنين.

السادسة: ألاَّ يقطع الشهادة على أحدٍ من أهل القِبلة بشِرك ولا كُفر ولا نفاق؛ فإنه أقربُ للرحمة وأعلى في الدرجة وهي تمام السُّنة، وأبعَدُ عن الدخول في عِلم الله، وأبعَدُ من مقت الله، وأقرَبُ إلى رضاء الله تعالى ورحمته؛ فإنه بابٌ شريفٌ كريمٌ على الله تعالى يورثُ العبدَ الرحمةَ للخلق أجمعين.

السابعة: أنْ يجتنبَ النظر إلى المعاصي، ويكفَّ عنها جوارحه؛ فإنَّ ذلك من أسرع الأعمال ثوابًا في القلب والجوارح في عاجل الدنيا، ليدَّخِرَه الله له من خير الآخرة. ونسأل الله تعالى أنْ يمُنَّ علينا أجمعين بالعمل بهذه الخِصال، وأنْ يُخرِجَ شهواتنا من قلوبنا.

الثامنة: أنْ يجتنبَ أنْ يجعل على أحدٍ من الخلق مؤنة صغيرة ولا كبيرة، بل يرفع مؤنته عن الخلق أجمعين مما احتاج إليه واستغنى عنه؛ فإنَّ ذلك تمامُ عزة العابدين وشرف المتقين، وبه يقوى على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون الخلقُ عنده أجمعون بمنزلة واحدة، فإذا كان كذلك نقلَه الله إلى الغنى واليقين والثقة به عزَّ وجلَّ، ولا يرفع أحدًا سواه ويكون الخلقُ عنده في الحقِّ سواءً، ويقطع بأنَّ هذه أسبابُ عزِّ المؤمنين وشرفِ المتقين وهو أقربُ بابٍ إلى الإخلاص.

التاسعة: ينبغي له أنْ لا يقطع طمعَه من الآدميين، ولا يطمع نفسه فيما في أيديهم؛ فإنه العزُّ الأكبر، والغنى الخاص، والملكُ العظيم، والفخر الجليل، واليقين الصافي، والتوكل الشافي الصريح، وهو بابٌ من أبواب الثقة بالله عزَّ وجلَّ، وهو بابٌ من أبواب الزهد، وبه يُنال الورعُ ويكمل نسكُه، وهو من علاماتِ المنقطعين إلى الله عزَّ وجلَّ.

العاشرة: التواضع؛ لأنَّ به يُشيَّد محلُ العابد وتعلو منـزلته، ويُستكمل العزُ والرِّفعة عند الله سبحانه وعند الخلق، ويَقدرُ على ما يريد من أمر الدنيا والآخرة، وهذه الخَصلة أصل الخصال كلها وفرعُها وكمالها، وبها يدرك العبد منازل الصالحين الراضين عن الله تعالى في السرّاء والضرّاء، وهي كمالُ التقوى.

والتواضع هو ألاَّ يلقى العبدُ أحدًا من الناس إلا رأى له الفضلَ عليه، ويقول: عسى أنْ يكون عند الله خيرًا مني وأرفع درجة، فإنْ كان صغيرًا قال: هذا لم يعصِ اللهَ تعالى وأنا قد عصيتُ فلا شكَّ أنه خيرٌ منّي، وإنْ كان كبيرًا قال: هذا عبدَ اللهَ قبلي، وإنْ كان عالمًا قال: هذا أُعطي مالم أبلغْ، ونال مالم أَنَلْ، وعلِمَ ما جهلتُ، وهو يعمل بعلمه، وإنْ كان جاهلًا قال: هذا عصى اللهَ بجهلٍ وأنا عصيتُه بعِلم، ولا أدري بما يُختَمُ لي وبما يُختَمُ له، وإنْ كان كافرًا قال: لا أدري عسى أن يُسْلم فيُختَمَ له بخير العمل، وعسى أنْ أكفر فيختم لي بسوءِ العمل.

وهذا بابُ الشفقة والوجل، وأولُ ما يصحب وآخر ما يُبقي على العباد فإذا كان العبدُ كذلك سلَّمَه الله تعالى من الغوائل، وبلغ به منازلَ النصيحة لله عـزَّ وجلَّ، وكان من أصفياء الرحمن وأحبّائه، وكان من أعداء إبليس عدوِّ الله –عـزَّ وجل– لعنه الله تعالى وهو بابُ الرحمة، ومع ذلك يكون قد قطَع بابَ الكبرِ وجبالَ العجب، ورفض درجته العلو، وجانب درجته التعـزُّز في نفسه في الدين والدنيا والآخرة وهو مخُّ العبادة، وغاية شرف الزاهدين وسيماء الناسكين، ولا شيء أفضل منه، ومع ذلك يقطع لسانَه عن ذكرِ العالمين وما لا يعني، فلا يتمُّ له عمل إلا به، ويخرج الغلّ والكبر والبغي من قلبه في جميع أحواله، وكان لسانُه في السرِّ والعلانية واحدًا، ومشيتُه في السرِّ والعلانية واحدة، والخلق عنده في النصيحة واحدًا، ولا يكونُ من الناصحين وهو يذكر أحدًا من خلق الله تعالى بسوء ويعيّره بفعل أو يحب أنْ يُذكرَ عنده أحدٌ بسوء، ويرتاح قلبه لذلك، وهذه آفةُ العابدين، وعطب النساك، وهلاك الزاهدين، إلا مَن أعانَه الله تعالى على حفظِ لسانه وقلبه برحمتِه وفضلِه وإحسانه."

وقال رضي الله عنه وأرضاه في وصيته: أوصيكَ بتقوى الله تعالى وطاعته، ولـزوم ظاهرِ الشَّرع، وسلامة الصدر، وسخاء النفس، وبشاشة الوجه، وبذْل النَّدى، وكفِّ الأذى، وتحمُّل الأذى، والفقر، وحِفظ حرماتِ المشايخ، وحُسن العِشرة مع الإخوان، والنصيحة للصغار، وترك الخصومة في الرفاق، وملازمة الإيثار، ومجانبة الادِّخار، وترك صحبته مَن ليس من طبقتهم، والمعاونة في أمر الدنيا والدين، وحقيقة الفقر أنْ لا تفتقر إلى مَن هو مثلك، وحقيقة الغِنى أنْ تستغني عمَّن هو مثلك، وليس التصوف ما أخذ عن القيل والقال لكنه أخذ عن الجوع وترْك الدنيا وقطع المألوفاتِ والمستحسَناتِ.

ولا تبدأ الفقرَ بالعلم وابدأ بالرفق فإنَّ العلم يوحشه والرفق يؤنسه، والتصوف على ثماني خصال، السخاء مثل إبراهيم (عليه السلام)، والرضا مثل إسحاق (عليه السلام)، والإيثار مثل زكريا (عليه السلام)، والغربة مثل يحيى (عليه السلام)، ولبس الصوف مثل موسى (عليه السلام)، والسياحة مثل عيسى (عليه السلام)، والفقر مثل محمد (صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ).

قال القطبُ الربانيُّ سيدي الشيخ نورُ الدين أبو الحسن علي بن عبدالله الشاذليُّ إنَّ أصول الإرادة على مذهب الصوفيَّة مبنيٌّ على أربعٍ، الصدق في العبوديَّة، وترك الاختيار مع الربوبيَّة، والأخذ بالعلم في كلِّ شيء، وإيثار الله تعالى بالمحبة. والصدق مبنيٌّ على أربعة أصول: التعظيم، والمحبة، والحياء، والنيَّة. وترك الاختيار مبنيٌّ على أربعة أصول: الشهود في القبضة وعلى التحقيق بالوصلة وعلى التصديق وعلى الثقة بضمان الله ووعده. والأخذ بالعلم مبنيٌّ على أربعة أصول: إمّا من طريق الإشارة، وإمّا من طريق المواجَهة، وإمّا من طريق الفهم، وإمّا من طريق السَّمع. وأمّا إيثار المحبة فهو مبنيٌّ على أربعة أصول: إيثار وجوده الحق على كلِّ موجود، وإيثار الصفات بالتحسين بكلِّ موجود، وإيثار أفعاله بالرضا عند كلِّ مفقود، وإيثار محابِّه على محابِّ نفسه هذا لمن انقاد، وأما مَن لم ينقَدْ؛ فليكن مع الأستاذ الناقد إلى الله تعالى بهذه المثابة.

وقال أيضًا -رضي الله عنه-: العاقلُ من عقلَ عن الله تعالى ما أراد به ومنه شرعًا، والذي يريد الله بالعبد أربعة أشياء: إمّا نعمة، أو بليَّة، أو طاعة، أو معصية، فإذا كنتَ في النعمة فالله تعالى يقتضي منكَ الشكرَ شرعًا، وإذا ابتُليت ببليَّة فالله تعالى يقتضي منك الصبرَ شرعًا، وإذا أراد الله بك الطاعة فالله يقتضي منك شهودَ المنة ورؤية التوفيق شرعًا، وإذا ابتليت بمعصية؛ فالله تعالى يقتضي منك التوبة والإنابةَ إليه شرعًا، فهو عبدٌ على الحقيقة، بدليل قوله صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ «مَن أُعطِيَ فشَكَرَ وابتُلِيَ فصَبَر وظُلِمَ فغَفَرَ وظَلَم فاسْتَغفَر، ثم سكتَ صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ، فقالوا ما لَه يا رسولَ الله؟ فقال: ﴿أولئكَ لهم الأمنُ وهُم مُهتَدُونَ"﴾»[١٣٣].

قال العارفُ الربانيُّ الشيخ أبو مدين شعيبُ بن الحسن رضي الله عنه: الشيخُ مَن جمعَك في حضوره وحفظَك في مغيبه، وأنار نورَه فهو مع الفقراء بالأنس والانبساط، ومع الصوفيَّة بالأدب والارتباط، ومع المشايخ بالخدمة والاغتباط، ومع العارفين بالتواضع والانحطاط، فإنَّ حُسن الخلق معاملة

١٣٣- الراوي: سخبرة الأزدي والد عبدالله؛ المحدث: ابن حجر العسقلاني المصدر: **الإصابة**، الصفحة أو الرقم: ٢/ ١٦؛ خلاصة حكم المحدث : في إسناده أبو داود الأعمى أحد المتروكين.

كلِّ شخص بما يؤنسه ولا يوحشه؛ فمع العلماء بحُسن الاستماع والانقياد، ومع أهل المعرفة بالسكون والانتظار ومع أهل المقامات بالتواضع والانكسار، وقال رضي الله عنه: الفقرُ فخرٌ، والعلمُ غُنمٌ، والصمتُ نجاةٌ، واليأسُ راحةٌ، والعِلمُ غنىً، والـزهدُ عافية، والغفلةُ عن الحقِّ خيبةٌ، هنا انتهَت النصائح والله الموفق للعمل.

وقد لبس هذا الفقيرُ خرقة التصوف عن الشيخ العارف بالله عليّ بن حسام الدين المتقي –قدَّس الله سرّه العـزيز– على الطرقِ الأربع القادريَّة والشاذليَّة والمدنيَّة والجشتية –رضوانُ الله عليهم أجمعين– وهذه أسانيدُها. وأَلبَست خرقة التصوف على طريق المشايخ القادريَّة –رضوان الله تعالى عليهم أجمعين– الأخ في الله الشيخَ الصالح الشيخ عبدالحق بن الشيخ سيف الدين وفَّقه الله لما يحب ويرضى كما أَلبسَني العارف بالله علي بن حسام الدين المتقي، قال: لبستُها من الشيخ محمد بن محمد بن السخاوي وهو عن الشيخ طاهر بن ربان الزواوي، وهو عن الشيخ أحمد بن موسى البشيشي، وهو عن الشيخ شهاب الدين أحمد المعروف بـ: زورق، وهو عن أحمد البشيشي المذكور وهو عن الشيخ أبي الحسن علي البشيشي، ولبس أبو الحسن عن والده أبي حفص عمر بن عليّ، وهو عن السيد مجد الدين أبي محمد صالح الزواوي، وهو عن الشيخ محمد بن محمد بن المخلص الطيـبيّ وأحمد بن ايدمـز، وهما عن الشيخ شرف الدين بن العادلي، وهو عن الشيخ جمال الدين أبي محمد يوسف بن محمد نصر المعدني، وهو عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن عليّ بن سرور المقدسيّ، وهو عن الشيخ القطب الربانيّ والغوث الصمداني غوث الثقلين محيي الدين أبي محمد عبدالقادر الجيلاني، وهو عن الشيخ أبي سعيد المبارك بن علي المخـزوميّ، وهو عن الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن يوسف القرشي الهكاري، وهو عن الشيخ أبي الفرج عبدالرحمن بن عبدالله الطرطوشي، وهو عن الشيخ عبد الواحد بن عبد العزيز التيمي، وهو عن أبي القاسم الجنيد بن محمد الزجاجي القواريري البغدادي، وهو عن الإمام علي الرضا، وهو عن والده الإمام محمد الباقر، وهو عن والده الإمام زين العابدين علي بن الحسين، وهو عن والده الإمام حسين بن علي، وهو عن والده أمير المؤمنين وإمام المُسلمين عليّ بن أبي طالب، وهو عن سيِّد المرسلين وإمام أئمة المتقين وخاتم النبيين محمد –صلّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ– وعلى آله وأصحابه وأتباعه وحـزبه أجمعين"[١٣٤]. انتهى.

وتُلقي مضامين هذه الإجازة الضوءَ على العديد من الجوانب للحياة الدينيَّة والعلميَّة والفكريَّة

١٣٤- انظر: زاد المتقين، ص٢٥٢-٢٦١.

السائدة في الحرميْن الشريفيْن آنذاك. ونستطيع أنْ نعرفَ من خلالها هيمنة الأفكار الصوفيَّة على الحياة العلميَّة والفكريَّة التي يقودها آنذاك في الحجاز العلماءُ الصوفيَّة الذين وفدوا إليها من شتى أقطار العالَم الإسلاميِّ وكثير منهم صاروا من مجاوري الحرميْن الشريفيْن، وكانوا يتدارسون فيما بينهم شتى أنواع العلوم، ويجيز بعضُهم لبعض.

ولاريب أنَّ الوحدة المعرفيَّة والثقافيَّة أدَّت إلى تنشيط الحركة العلميَّة إلى جانب ترويج الأفكار الصوفيَّة وترسيخها في المجتمع في الحرميْن الشريفيْن؛ ذلك من خلال الحلقات العلميَّة في داخل الحرم المكيِّ، والمؤسسات العلميَّة العامة الخاصة والخانقاوات والرُّبَط التي أنشئَتْ وانتشرَتْ في الحجاز انتشارًا واسعًا في ذلك الوقت، وكلُّ تلك النشاطات العلميَّة والدينيَّة والفكريَّة كانت بسبب وجود الحرميْن الشريفيْن في الحجاز اللذين صارا قبلة للمُسلمين القادمين من شتى أنحاء العالم سواء حجاجًا أو معتمرين أو زائرين لتينك المدينتين ومقدَّساتهما، فقد أصبح الحرمان الشريفان منذ فجر التاريخ الإسلاميِّ مركزين علميَّيْن من مراكز التعليم والتدريس لجميع المُسلمين.

وقد خصَّص الشيخ المحدثَ المقصدَ الثالث لذكر تراجم العلماء والصوفيَّة المجاورين للحرميْن الشريفيْن آنذاك، وإلى جانب ذلك ذكر تراجم بعض العلماء والصوفيَّة في المقصد الأول والثاني الذين وفَدوا إلى مكة، ومكثوا فيها لمدة قصيرة ثم غادروها، وتحمل صفحات المقصد الثالث تراجم خمسة وثلاثين من العلماء والصوفيَّة والشخصيات المهمة الذين عاصرهم الشيخُ المحدثُ وسمع عنهم خلالَ وجوده في الحرميْن الشريفيْن[١٣٥]. ويمكن لنا أنْ ننقلَ من كتابه نبذ قصيرة لبعض تلك الشخصيات المهمة من العلماء والصوفيَّة.

ويفيد ما ذكره الشيخ المحدث في هذا المقصد من أخبار العلماء والشيوخ من الشرق والغرب أنهم حرصوا على المجاورة في الحرميْن الشريفيْن بسبب وجود الجو العلميِّ والسلوكيِّ بهما، وكانت السلطاتُ العثمانيَّة والإماراتُ الإسلاميَّة في الهند تُرسل إليهم وللفقراء المساكين الأموال والصدقات التي تساعدهم على التفرغ العلميِّ والاستمرار في المجاورة للحرم المكيِّ والمدنيِّ، وكانوا يلتقون مع بعضهم بعضًا في حلقات الدروس العلميَّة، وكانت تلك اللقاءاتُ والحلقاتُ العلميَّة توفر الفرص لنشر العلوم والمعارف[١٣٦]،

١٣٥- انظر: زاد المتقين، ص٢٧٢-٣٤٠

١٣٦- المصدر السابق، ص٩٦.

ومن ثم نستطيع القول بأنه كانت لمجاورة هؤلاء العلماء والشيوخ أثرٌ كبيرٌ في تنشيط الحركة العلميَّة في الحرميْن آنذاك.

وعلينا الآن أنْ نذكر تراجم بعض هؤلاء العلماء والشيوخ المجاورين لإلقاء الضوء على تأثيرهم في الحركة العلميَّة في الحرميْن الشريفيْن، وقيامهم بإفادة الزائرين في موسم الحجِّ وفي الزياراتِ العاديَّة إلى جانب دورهم في إنتاج المؤلفاتِ في مختلف العلوم والفنون، وقد كان أولئك العلماء المجاورون على درجة كبيرة من النشاط العلميِّ الذين أفاد منهم المُسلِمون سواء في أرض الحرميْن أو الذين يأتون للحج أو الزيارة وجاوروا الحرميْن لمدة ثم انتقلوا إلى بعض المدن الإسلاميَّة الشرقيَّة مثل الهند، حيث كانت الإماراتُ الإسلاميَّة تهتم بهم وترحب بقدومهم إليها، وكذلك كان وجودُهم وحضورُهم في الساحة العلميَّة المكيَّة يُسهِم في إنتاج العديد من الكتب والمصنفاتِ والمؤلفاتِ في مختلف العلوم والفنون، كما ذكرت في الصفحاتِ السابقة.

ومن أبرز مَن جاور بالحرم المكيِّ إبّان تلك الحقبة التاريخيَّة، والذين كتب الشيخ المحدثُ تراجِمَهم الشيخُ الصوفيُّ العالِمَ أبو الحسن البكريُّ الشافعيُّ المصريُّ (٨٩٩-٩٥٢هـ/ ١٤٩٣-١٥٤٥م)، الذي كان يُعَدُّ من كبار الرجال في العلم والتصوف، وكان ينتمي إلى الطريقة القادريَّة، والشاذليَّة، وكان جامعًا بين العلم والعمل، ووفقًا لرواية الشيخ المحدث عن شيخه: "وهو ممَّن اتفَقوا على: ولايته، وجلالته، وبلوغه رتبة الاجتهاد؛ لا يفارق الكتابُ يدَه، وينظر فيه دائمًا، تتلمذ عليه الشيخ علي المتقي، وسمع منه الحديث، وأخذ عنه الطريقة والسلوك، ولكتابه "حزب الفتح" تداوُل كبير وقبول عام بين صوفيَّة هذه المناطق العربيَّة، وكان الشيخ يمنح الإجازة العلميَّة للطلاب من حلقته العلميَّة في الحرم المكيِّ والذين يواظبون على الأذكار والأشغال طوال عام كامل من خلال كتابه المذكور[١٣٧].

والكلام لا يزال للشيخ المحدث: "وخلال وجودِه في مكة كان الشيخ عبد الوهاب يصحح كتب

١٣٧- وقد ذكر الشيخ المحدث نصَّ الإجازة التي كان الشيخ أبو الحسن البكري يمنحها، فيقول: "قد لقي هذا الفقير جماعةً من أهل الطريق، وانتفع بهم من أجلهم الرضي الغزي عن البـرهان الإقناعي بسند طريقته إلى الجنيد ومنهم الشيخ سعيد المغربي عن شيخه المواق إلى أبي الحسن الشاذلي ثم إلى الجنيد، وفي بعض الطرق من ينتهي إلى الجيل ثم إلى الجنيد أستاذ الطائفة نفعنا الله بهم أجمعين وليس المعول الأعلى الصدق والتقوى والجري وعلى آثارهم وإنْ كان في ذِكرهم بركة تنـزل به الرحمة، وفَّقنا الله الصدقَ في كلِّ حال آمين". انظر: **زاد المتقين**، ص٢٧٤.

الأحاديث بالتعاون معه. وكان الشيخ العالم الهنديّ طاهر البِتني[١٣٨] يريد أنْ يدخل إلى زمرة مريديه، ولكنه رفض ذلك وقال إنه في وجود الشيخ عبد الوهاب المتقي ليس من المسموح لأحد أنْ يدرج المريدين[١٣٩]، وحدث مرة أنه جاء إلى الحرم المكيِّ ولكنه لم يتابع الإمام في الصلاة، وقال عن نفسه إنه إمامُ الوقت وليس من المناسب له أنْ يتابع أحدًا غيره"[١٤٠].

"وقد درس الشيخ شهاب الدين ابن حجر الهيتمي تحت إشرافه[١٤١]، وكان ولده وتلميذه: محمد البكري المتوفى عام ٩٩١هـ/ ١٥٨٢م شاعرًا مُجيدًا وأديبًا بارعًا، وله: مؤَلف في التوحيد، سماه: تأبيدُ المنة بتأييدِ أهل السُّنة." كتب الشيخ المحدث نبذة عن كتابه المذكور[١٤٢]، وكتب عنه قائلًا: "كان عالمًا كبيرًا؛ بل يقال إنه وُهِبَ العلمَ اللدُنّيَّ[١٤٣]، ولمحمد البكري تلميذ، يسمى: زين العابدين وكان عالمًا كبيرًا، ومن مقالاته: إنَّ أبا بكر أفضل من عليّ ولكن المحبة والانجذابَ شيء آخر، وهذا مذهبي وحالي، ومواهبنا كلها على يدي سيدنا علي رضي الله تعالى عنه،[١٤٤]" وقد أفرد الشيخُ المحدثُ صفحاتٍ عديدة لذكرِ ترجمته ومجالسه

١٣٨- يُعَدُّ الشيخ طاهر البِتني من كبار محدثي الكجرات في الهند، واسمه الكامل "مجد الدين محمد بن طاهر ابن علي الحنفي البِتني"، اشتهر بكتابه "مجمع بحار الأنوار في غرائب التنـزيل ولطائف الأخبار" والذي اعترف بفضله كافة العلماء. وُلِد عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م، بمدينة "**بِتن**" في الكجرات، وبعد الحصول على التعليم في علم الحديث سافر إلى الحرميْن الشريفيْن عام ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م، وأخذ عن علمائهما، فأخذ عن الشيخ أبي الحسن البكري، والشيخ الشهاب أحمد بن حجر المكي الهيتمي، والشيخ جار الله بن فهد، وغيرهم ولازم الشيخ عبدالوهاب المتقي. وله مؤلفاتٌ أخرى في الحديث مثل "المغني في أسماء الرجال"، و"تذكرة الموضوعات"، و"قانون الموضوعاتِ والضعاف"، وغيرها. توفي الشيخ في الهند عام ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م، ودفن في مقبرة أسلافه. انظر: ترجمته في عبدالحي الحسني، **الإعلام**، ج١، ص٤٠٩-٤١١.

١٣٩- انظر: **زاد المتقين**، ص٢٧٦.

١٤٠- المصدر السابق، ص٢٧٥.

١٤١- المصدر السابق، ص٢٧٨.

١٤٢- المصدر السابق، ص٢٨٢-٢٨٦.

١٤٣- المصدر السابق، ص٢٨٢-٢٨٦.

١٤٤- انظر: **زاد المتقين**، ص٢٨٦-٢٨٧.

العلميَّة والسلوكيَّة[١٤٥]، وكتب أيضًا مجالسه الخاص مع الشيخ زين العابدين الذين دعاه لزيارة مصر مع القول: ﴿اهْبِطوا مصْرًا فإنَّ لَكُمْ مّا سَألْتُمْ﴾[١٤٦].

ثم ينتقلُ الشيخُ المحدثُ إلى تناوُل سيرة الشيخ شهاب الدين ابن حجر الهيتمي المكيِّ الذي كان يُعَدُّ من العلماء البارزين في مكة المُكرَّمة. فكان شيخ الإسلام لها، ويقول الشيخ عنه إنه كان أعظمَ علماء عصره وفقهاء دهره لم يكن له نظيرٌ في الفقه في زمانه، وعلى الرغم من أنه لا يُقارَنُ بالشيخ ابن حجَر العسقلانيِّ الكبير في علم الحديث ولكن يحتمل أنْ يكونَ في الفقه مثله، تتلمذ على الشيخ زكريا المصريِّ الآخذ عن الحافظ ابن حجر العسقلاني، وكان معاصرًا للشيخ علي المتقي.

وكان في بداية الأمر قد درَّس لعلي المتقي ولكنه فيما بعد عدَّ نفسه من تلامذته، وعلاوةً على ذلك صار بعد ذلك مريدًا له، وحصل على الإجازة منه، وكان يقيم المجالسَ العلميَّة في الحرم المكيِّ لحلِّ مشاكل عامة الناس الذين يحضرون مجلسَه بكثرة، وكان يلقي كلمته في الوعظ والتذكير وعن العبادات والمعاملات، وكانت تلك المجالس تُعقد في الغالب بين العصر والمغرب[١٤٧]، وله مؤلفاتٌ ممتعة منها: **شرحُ الشمائل للترمذيّ**، و**شرحُ الأربعين للنوويِّ**، و**شرحُ المشكاة في الحديث** و**الزواجرُ عن اقتراف الكبائر**، وهو كتاب لم يؤلَّف مثله قبله، و**الصواعقُ المحرِقةُ في الردِّ على الروافض**، و**شرح الهمـزيَّة في نعته صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ**، و**شرحُ عين العِلم في السلوك**، و**قلائدُ العقيانِ في مناقبِ النعمان** في فضائل ومناقب الإمام أبي حنيفةرضي الله عنه. توفّي

١٤٥- وصف الشيخ المحدثُ مجالسَه العلميَّة بأنها من أحسن مجالس بين أقرانه في الحرم المكيِّ، قائلًا: على الرغم من أنَّ هناك علماء كثيرين لا سيما علماء مصر وهم معروفون عن غزارة علومهم ومعارفهم، ويقيمون مجالسهم العلميَّة والسلوكيَّة، ولكن لمجالس الشيخ العلميَّة والسلوكيَّة لها شأن ورونق من طراز فريد." انظر: **زاد المتقين**، ص٢٨٦.

١٤٦- المصدر السابق ، ص، ص٢٨٩-٢٩٠.

١٤٧- المصدر السابق ، ص، ٢٩٦؛ وقد قارن الشيخ المحدث بين مجلس كل من الشيخ ابن حجر الهيتمي والشيخ محمد بكري، اللذين كانا يقيمان مجالسهما العلميَّة في وقت واحد في الحرم المكي فقال: "إلى جانب طلبة العلم كان التجار والحرفين وعامة الناس يحضرون مجالس الشيخ ابن حجر الهيتمي، في حين مجالس الشيخ محمد بكري كانت خاصة لشرح الحقائق والمعارف عن السلوك والتزكية وفك رموز التصوف وأسرارها، ومن هنا، يحضر العلماء والصوفيَّة والخاصة مجالسه. إنما يثني الشيخ محمد بكري على مجالس الشيخ الهيتمي، قائلًا: أنَّ مجالس الشيخ الهيتمي أفيد من مجالسنا؛ لأنها تفيد عامة الناس في مسائلهم الدينيَّة والدنيويَّة معًا وتساعدهم حلول تلك المسائل في ممارسة الشعائر الدينيَّة، وتحثهم على الفعل على أرض الواقع". انظر: زاد المتقين، ص٢٩٦.

الشيخ الهيتمي في سنة ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م[١٤٨].

ثم يذكر الشيخ المحدث ترجمةً قصيرة للشيخ علي بن محمد بن عرّاق وعدَّه من كبار العلماء البارزين المشهورين في المدينة المنورة، ووفقًا لقوله، فإنَّ الشيخ علي كان يخطب ويصلي بالناس في المسجد النبويِّ، وكتب كتابًا بعنوان: **تنـزيهُ الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة**، وهو أجمعُ كتابٍ في الأحاديث والآثار الموضوعة وقد قام تلميذه الشيخ رحمت الله السندهي بشرح هذا الكتاب ومراجعته[١٤٩]، وللشيخ رحمت الله السندهي كتاب آخر وهو دليلٌ للحج والعمرة باسم **مسالكُ الحجِّ**، واعتبره الشيخ عليٌّ المتقي من أحسن وأنفعِ الكتب في هذا المضمار[١٥٠].

وكان الشيخُ أبو بكر بن سالم اليمني يُعَدُّ من العلماء الكبار والصوفيَّة، كتب عنه الشيخُ المحدثُ فيقول: "وهو ممَّن جمع بين العلم والحال والولاية والسيادة، وهو صاحبُ الكرامة الباهرة والمقامات العالية متفَق عليه، وله كلامٌ غالٍ وأشعارٌ فيما ينبي عن حاله ومقامه"، وقد ترك له ديوانَه باللغة العربيَّة والذي يحمل قصائدَ تائيَّة رائعة كتبها الشيخُ في ردِّ الشيخ الشاعر ابنِ الفارض[١٥١]، وقد اقتبس الشيخُ المحدثُ أحدَ عشرَ بيتًا من قصيدته.[١٥٢]

ثم كتب الشيخُ المحدثُ ترجمة وجيزة للشيخ أحمد أبي الحرم، فيقول: "يُعَدُّ الشيخ أحمد أبو الحرم المدنيّ من كبار علماء المدينة وفقهائها، وهو آية باهرةٌ في علم القراءة، وأستاذ الأساتذة في الديار الحرميَّة، أخذ العلمَ عن الشيخ أبي الحسن البكري، وتلقى علمه أيضًا من كلٍّ من ابنِ حجَر العسقلاني، وشيخ القراء شمس الدين محمد الجَزَريّ[١٥٣]، لأنه وُلد في الحرم المدنيِّ ومن هنا لُقّب بأبي الحرم، وقد قرأتُ عليه **قصيدة الشاطبيَّة** وبعض أجـزاء **صحيح البخاري**، ومنحني الإجازة في قراءة القرآن والحديث النبويِّ"[١٥٤].

١٤٨- المصدر السابق، ص٢٩٥.

١٤٩- انظر: **زاد المتقين**، ص٢٧٣.

١٥٠- المصدر السابق، ص٩٩.

١٥١- المصدر السابق، ص٢٩١.

١٥٢- المصدر السابق، ص ٢٩٣.

١٥٣- وشيخُ القرَّاء أبو الخير محمد بن محمد الجَزَريُّ المتوفى ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م، ولد ونشأ في دمشق وأخذ العلوم الإسلامية عن علمائها، ورحلَ إلى مصر والمدينة تكرارًا، والتقَى بالأئمَّة القرَّاء، وسمع الحديثَ، وأخذ الفقهَ. ولم يكن عالمًا في التجويدِ والقراءات فحَسْب؛ بل كان عالمًا في شتَّى العلومِ الإسلامية. وكان غزير الإنتاجِ في ميدان التأليف، في أكثر

وكذلك دوَّن الشيخ المحدث ترجمة القاضي عليّ بن جار الله بن ظهيرة القرشيِّ الخالديّ المخـزوميّ المكيّ، وأثنى على رجاحة عقله وفقهه، مع إعطاء نبذة بسيطة عن حياته العلميَّة فيقول: "هو من العلماء الشافعيَّة، وينحدر من سلالة حضرة خالد بن الوليد –رضي الله عنه–، وله مكانة عالية في الفقه والفتاوى إلى جانب الخطابة، ويُعَدُّ من مُحدّثي مكة المُكرَّمة وفقائها، وعلى رغم ضعفه ونحافته الشديدة يجلس طول النهار في الحرم المكيِّ يعلم الناس ويرشدهم، وتدرَّج في الفقه إلى أنْ حصل على المكانة المرموقة في الفقه والفتاوى، ويُصدر الفتاوى بمنتهى الثقة وقلَّما يرجع إلى كتب الفتاوى. وهو من أفضل مَن قام بتدريس صحيح البخاري، وهو من مريدي الشيخ علي المتقي[١٥٥].

ثم يذكر ترجمة الشيخ محمد الحنفي الذي جاء من الشام، واستقر في مكة وأصبح من المجاورين المستقرين، ويُخبرنا الشيخ المحدث بأنه التقى به في الهند قبل مجيئه إلى الحرميْن الشريفيْن، حيث مكثَ الشيخُ محمد الحنفي لبعض الوقت في الهند ثم عاد إلى مكة، وانهمك في دراسة الفتوحات المكيَّة للصوفيّ ابن عربي، ويقال إنه لما حضر مجلس الشيخ علي المتقي سجد له، ثم ادَّعى فيما بعد أنه مُجدِّد ومُلْهَم من الله، ثم تدرَّج درجة أخرى فادعى أنه المهدي المعهود[١٥٦].

ثم تناول الشيخ المحدث ترجمة الشيخ محمد البهنسي المتوفى عام ٩٩٨هـ/ ١٥٩٠م الذي قدِمَ من مصر إلى مكة واستوطنها وتتلمذ على الرملي تلميذ الشيخ السيوطي، ويقول الشيخُ المحدثُ عنه إنه كان يُلقي الدروسَ في الأحاديث والمسائل الفقهيَّة في الحرم المكيِّ بعد العشاء، وكتب أيضًا الشرح لكتاب **الجامع الصغير** للسيوطي، وكان ينظر فيه عند إلقاء الدروس، وعبَّر الشيخ المحدث عن تأثُّره البالغ به فيما يتعلق بتوضيح المسائل الجـزئيَّة الرقيقة بدقة بالغة في الأحاديث النبويَّة في مجالسه.

وقد سمع الشيخ المحدث الدهلوي منه ما جرى بين السيوطي وأحمد بن محمد القسطلاني عن تأليف كتاب **المواهب اللدُنِّيَّة**، فيخبرنا قائلًا: "لقد أخبرنا الشيخُ البهنسيُّ بشأن تأليف كتاب **المواهبُ**

من علمٍ من العلوم الإسلاميَّة، وإن كان علم القراءات والتجويد هو العلم الذي اشتهر به، وغلب عليه وتجاوز عددُ مصنَّفاته التسعين كتابًا راجع ترجمته في: محمد رفيق مؤمن، **الإمام ابن الجزري: نشأته وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته،** مقال منشور في موقع الآلوكة الثقافية.

١٥٤- المصدر السابق ، ص٢٩٧-٢٩٩.

١٥٥- انظر: **زاد المتقين**، ص٢٩٩-٣٠١.

١٥٦- المصدر السابق، ص٣٠٢-٣٠٣.

اللدُنيَّة" المعروف للقسطاني، ووفقًا لروايته ادَّعى الشيخ جلالُ الدين السيوطيُّ أنَّ هذا الكتاب من تأليفه، إنما اختلسَه القسطلاني وجعله من تأليفه، وفي يومٍ من الأيام جاء إلى بيت السيوطيِّ ولكنه لم يخرج له وقال له إنه أعطى ذلك الكتابَ له، ولكن ينبغي له ألا يريه وجهَه." ويبدو أنَّ هذه القصة قد أربكَت الشيخ المحدثَ لدرجة أنه لما زار المدينة وضعَ هذه المسألة أمام العالِم الجليل سيدي جعفر، ووفقًا لكلام الأخير فإنَّ هذه القصة لم تكن هكذا إنما الواقع أنه حدث أنَّ السيوطيَّ اتهمه بالأخذ من كُتبه دون أنْ ينسبَ إليه مما جعله غاضبًا منه، ويعتقد سيدي جعفر أنَّ هذه التهمة صحيحة، ولا ريبَ أنه قد اقتبس من كتاب السيوطيِّ دون ذِكر اسمه وكتابه، وقد اتفق الشيخُ المحدثُ معه وقال إنه ليسَ من الأمانة العلميَّة أنْ يقتبسَ أحدٌ المعلومة من أحدٍ دون ذِكْر المصدر المعلوم(١٥٧).

ثم يذكر الشيخُ المحدثُ سيرة السيد جعفر قائلًا: "إنه من علماء المدينة البارزين، ويُعرَفُ في المدينة بلقب "السمرقندي"، ويحتمل أنه جاءت أسلافه من سمرقند، واستقروا هنا في المدينة، ويجلس الشيخ في مكان الإمام مالك -رضي الله عنه- ويُعطي الدورسَ في **صحيح البخاري** من أوله إلى آخره في مسجد النبيِّ-صلّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ-، وحُضرَت مجالسُه في الحديث وحُصِّلت الإجازةُ منه".(١٥٨)

وثمة شخصيات علميَّة بارزة أخرى دوَّن الشيخُ تراجمَهم وسيرَهم الوجيزة في كتابه المغنيِّ، ومنهم على سبيل المثال: الشيخ محمد بن عراق(١٥٩)، الشيخ أبوالسرور(١٦٠)، الشيخ عبدالله الحضرموتي القادري(١٦١)، والشيخ أبو بكر الخطاب(١٦٢)، والشيخ محمد القزعي المصري(١٦٣)، والشيخ شمس الدين البنوفري المالكي شيخ المالكيَّة بمصر المتوفي عام٩٩٩هـ/ ١٥٩١م(١٦٤)، والسيد الشيخ الحضرمي(١٦٥)، والسيد عيسى المغربي المدني(١٦٦)، والشيخ علي بن عيسي البوجيلي القادري المتوفى عام ٩٩٩هـ/ ١٥٩١م(١٦٧)، والشيخ أبو الليف(١٦٨).

١٥٧- انظر: **زاد المتقين**، ص٣٠٥-٣٠٧.

١٥٨- المصدر السابق ص٣٠٧.

١٥٩- المصدر السابق، ص٢٧٢.

١٦٠- المصدر السابق، ص ٢٩٠.

١٦١- المصدر السابق، ص٢٩٠.

١٦٢- المصدر السابق، ص٢٩١.

١٦٣- المصدر السابق، ص ٢٩٦.

١٦٤- المصدر السابق، ص ٣٠٣- ٣٠٤.

وهذا المقصدُ من الكتاب يحتوي أيضًا على قسمٍ صغير يتناول أحوالَ بعض الدراويش والمجاذيب من الرجال والنساء المجاورين بمكة المُكرَّمة[١٦٩]، ويبدو من ذلك، أنَّه كانت هناك شريحة خاصة من المجاورين المجاذيب والدراويش في مكة المُكرَّمة آنذاك والذين كتب عنهم الشيخُ المحدثُ وذكَر نشاطاتهم الغريبة، وقد لوحظَ في الكتاب، أنَّ المدينة تكاد تخلو تمامًا من مثل هؤلاء الناس، وكتب الشيخُ المحدثُ أنَّ ثمة رجلًا واحدًا فقط في المدينة المنورة يمكن أنْ يطلق عليه صفة المجذوب، أمّا البيئة الدينيَّة العامة فليس فيها مكان لمثل هذه الشرائح غير المقبولة والفضل يرجع إلى أهالي المدينة، حيث إنهم حذِرون جدًا نحو هذه النشاطاتِ غير الدينيَّة. ويحوم الخشوعُ والخضوعُ حول المدينة وهو الذي يمنعُ من القيام بأيِّ شيء لايتفق مع كرامتها وعزتها واحترامها وتقديرها[١٧٠].

وفي نهاية الكتابِ خصَّص الشيخ المحدث بعض المقالاتِ لتناول تراجم مختصرة عن العلماء والصوفيَّة غير العرب الذين جاءوا إلى الحجاز واستقروا فيها، منهم علماءُ الهند الذين قدموا من الهند وجعلوا الحرمَيْن الشريفَيْن مسكنًا ومدفنًا لهم[١٧١]، منهم على سبيل المثال الشيخُ الصوفيُّ إسماعيل الشيرواني النقشبندي[١٧٢]، وهو من مريدي الشيخُ عبيد الله الأحرار النقشبندي[١٧٣]، وكان والدُ شريف مكة يعتقد فيه

١٦٥- المصدر السابق، ص٣٠٨-٣١٠.

١٦٦- المصدر السابق، ص٣١٠-٣١١.

١٦٧- المصدر السابق، ص٣١١-٣١٣.

١٦٨- المصدر السابق، ص٣١٣-٣١٤.

١٦٩- انظر: **زاد المتقين**، ص٣١٤-٣٢١.

١٧٠- المصدر السابق، ص٣١٩.

١٧١- المصدر السابق، ص٣٢١-٣٤٠.

١٧٢- المصدر السابق، ص، ٣٢١.

١٧٣- الشيخ الصوفي الخواجه ناصر الدين عبيد الله بن محمود بن شهاب الدين أحمد الشاشي السمرقندي النقشبندي الملقب بالأحرار، المتوفى عام ٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م، يُعَدُّ من رواد الطريقة الصوفيَّة النقشبنديَّة، وأسهم في نشر أفكار الطريقة النقشبنديَّة وترويجها في الشرق والغرب بواسطة تلامذته. وكان له نشاطاتٌ صوفيَّة في كلٍّ من تاشقند، وسمرقند، ومرو وغيرها من مناطق آسيا الوسطى. وله مؤلفاتٌ في التصوف أهمها "أنيس السالكين"، و"العروة الوثقي لأرباب الارتقاء" وغيرها، عن حياته الدينيَّة والفكريَّة والسياسيَّة انظر: عارف نوشاهي، **سيرة خواجه أحرار**، (إسلام آباد: أكاديميَّة پورب، ٢٠١٠م) ص٨١-١٠٩-١١٥.

ويـزوره كلَّما يجد نفسَه مضطربًا[١٧٤]، وهناك الشيخ مير زكريا السنديّ اليمنيّ الذي كان معروفًا ومطلوبًا في عمليَّة التدريس والإفادة[١٧٥]، وكان الشيخ الحاج نظر الله البدخشي يـزور مكة في حالة من النشوة خلال موسم الحجِّ، واعتاد على أنْ يزور الحرميْن الشريفيْن مرة في كلِّ موسم حجٍّ. ووفقًا لكلام الشيخ المحدث فقد منحه الشيخ نظر الله إجازة عامة لتدريس جميع العلوم الظاهريَّة والباطنيَّة "أجـزت لكم إجازة تامة مطلقة برواية جميع العلوم الظاهرة والباطنة كما أجازني الشيخُ بدرُ الدين اليافعيُّ رحمه الله"[١٧٦].

١٧٤- انظر: **زاد المتقين**، ص٣٢٢-٣٢٣؛ ولعلَّ من المناسب، أنْ نذكر هنا إلى أنَّ الطريقة النقشبنديَّة أيضًا وجدت الطريق إلى نشر أفكارها وتعليماتها في الحرميْن بين الطرق الصوفيَّة الأخرى المذكورة في الكتاب. وتُعَدُّ الطريقة الخواجكانيَّة من أقدم الطرق الصوفيَّة التي خرجت منها طرق صوفيَّة كثيرة، ومنها النقشبنديَّة. ونشأت الطريقة الخواجكانيَّة في تركستان بيد الشيخ الخواجه أحمد يسوي المتوفى ٥٦١هـ/ ١١٦٦م، وقام بعد موته الشيخ الخواجه عبد الخالق الغجدواني المتوفى ٥٧٤هـ/ ١١٧٩م- بترسيخ دعائم هذه الطريقة إلى أنْ جاء الشيخ الخواجه بهاء الدين نقشبند المتوفى عام ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م، وبذل مجهودًا كبيرًا في نشْر أفكار هذه الطريقة، وبسبب تأثيره البالغ، تغير اسم هذه الطريقة الخواجكانيَّة إلى الطريقة النقشبنديَّة، التي انتشرت فيما وراء النهر، وتركت أثرًا كبيرًا في الأسرة التيموريَّة التي حكمت الهند بعد سقوط سلطنة دهلي. للتفصيل انظر: خليق أحمد نظامي: **تاريخ مشايخ چشت**، (دهلي: إدارة أدبيات دلي، ١٩٨٠م، ج١، ص١٧٢-١٧٣. هذا، وقد وصل بعضُ المشايخ النقشبنديَّة من الهند وصاروا من مجاوري مكة والمدينة لنشر أفكار هذه الطريقة، ومنهم الشيخُ صبغة الله بن روح الله البهروچي الهندي المتوفى عام ١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م، الذي قدِمَ إلى مكة لأداء مناسك الحج عام ٩٩٩هـ/ ١٥٩١م. ثم زار الحرميْن الشريفيْن مرة أخرى للحج عام ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م، واستقر مجاورًا في المدينة المنورة، وبنى المنـزل له وأنشأ الرباط لتفعيل النشاطات النقشبنديَّة، ووفقًا لروايَّة المحبي: "أقام بالمدينة يدرّس للطلبة ويربي المريدين وانتفع به الجمُّ الغفير..." ولم يغادر الحرميْن الشريفيْن إلى أنْ تُوفي عام ١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م، ونجح في ترويج الأفكار النقشبنديَّة، وتعليماتها الصوفيَّة إلى جانب تأهيل الكوادر من الصوفيَّة النقشبنديَّة، ومنهم الشيخُ الصوفي إسماعيل الشيرواني المذكور آنفًا....وكان أحدَ أفراد الزمان في المعارف الإلهيَّة وله اليدُ الطولى في أنواع الفنون، وله الحاشية المشهورة على تفسير البيضاوي...وله مصنفاتٌ غيرها منها كتاب "باب الوحدة" وغيرها من الرسائل العلميَّة..." لترجمة الشيخ صبغة الله، انظر: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، أربع أجزاء، (القاهرة: المطبعة الوهبية، عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م)، ج٢، ص٢٤٣-٢٤٤، وعن الطريقة النقشبنديَّة ونشاطاتها الفكريَّة الصوفيَّة راجع:
Azra, Azumardi, "*Networks of the Ulama in the Haramayn: Connections in the Indian Ocean Region*", Studia Islamika, 8, 2, 2001, pp. 83-120.

١٧٥- انظر: **زاد المتقين**، ص٣٢٢-٣٢٣.

١٧٦- المصدر السابق، ص٣٢٣-٣٣٠-٣٣١.

ثم يذكر الشيخُ المحدثُ تراجمَ بعض النساخ الهنود الذين يقتاتون بعمليَّة نَسخ الكتب، منهم على سبيل المثال الشيخُ نصرُ الله الشيرازي[١٧٧]. والشيخُ حبيبُ الله القادري الشيرازيّ المنتمي إلى الطريقة الصوفيَّة القادريَّة، وأخوه الكبيرُ الشيخُ محمدٌ الشيرازي الذي اختار المدينةَ المنورةَ للمجاوَرة، وكان يدرس الحديث النبويَّ، وكان الأخوان يُلقَّبان بالشيخيْن في المدينة المنورة وكانا على اتصال وثيق بشيخ علي المتقى[١٧٨]. وهناك الشيخُ رحمت الله السنديّ، وهو من كبار العلماء عاشَ لمدة طويلة في عمليَّة الدرس والإفادة في مكة المُكرَّمة[١٧٩]. والشيخُ عبيدالله السندي المتوفى ٩٩٦هـ/ ١٥٨٨م وهو من تلامذة الشيخ ابنِ حجَر المكيِّ الهيتميِّ[١٨٠]. والفقيه محمد نائت الذي ينحدر من سورت في الكجرات، ولكنه قضى طولَ عُمره في الحرميْن الشريفيْن، وكان رفيقًا للشيخ عليّ المتقي، وتُوفّي في المدينة ودُفنَ في البقيع[١٨١]. وينتهي هذا الفصلُ بذكر ترجمة قصيرة عن الشيخ مياں خدا بخش الدكنيّ الذي عاشَ في المدينة المنورة في حالة متواضعة لكيلا يتعرف عليه أحدٌ، وكان على اتِّصال وثيق بالشيخ عبد الوهاب المتقي، ويعُدُّه الشيخ المحدثُ من الرجال الأتقياء[١٨٢]، ولدى كتابة ترجمة الشيخ المذكور يختم الشيخُ المحدثُ كتابَه بدعاء: "اللهمَّ ارزُقْنا العودَ ثم العودَ، وارزقني شهادةً في سبيلكَ، واجعل موتي ببلد رسولكَ صلّى اللهُ عليْه وسَلَّمَ وآله وأصحابه وأزواجه وذُرَّيته وأحـزابه أجمعين"[١٨٣].

ولا ريبَ، أنَّ هذه الحكايات والنوادر والإفادات المذكورة في هذا الكتاب، تُلقي الضوءَ على جوانب عديدة من حياة أهالي الحرميْن الشريفيْن الدينيَّة والعلميَّة التي شاهدَها الشيخُ المحدثُ بنفسه خلال مدة وجوده هناك في نهاية القرن العاشر الهجري. وناقش تلك الجوانبَ في كتابه معتمدًا على المشاهدات الشخصيَّة والمعارف التي حصل عليها من الشيوخ في الحرميْن الشريفيْن، وقد دقَّقَ في كثير من الملاحظات الشخصيَّة لدى تناوُلها، مثلًا في أثناء طَرحِ ظاهرة المجاذيب ووجودِهم في مكة المُكرَّمة، بحثَ عن الأسباب

١٧٧- المصدر السابق، ص٣٣١-٣٣٢.

١٧٨- المصدر السابق، ص٣٣٢-٣٣٣.

١٧٩- المصدر السابق، ص٣٣٤.

١٨٠- المصدر السابق، ص٣٣٤.

١٨١- انظر: **زاد المتقين**، ص٣٣٥.

١٨٢- المصدر السابق ، ص٣٣٥- ٣٤٠.

١٨٣- المصدر السابق ، ص٣٤٠.

التي أدَّت إلى تنظيم تجمُّعاتهم في مكة عن المدينة التي كان لها وضع خاصٌّ بالمقارنة بمكة المُكرَّمة وكذلك دوَّن الشيخ بعضَ مظاهرِ الحياة الدينيَّة والعلميَّة في المدينة قد لا نجدُها في الكتب والمصادر الأخرى، وذلك بسبب أنَّ الشخص الزائر يلتقط الظواهر والأشياء الدقيقة والبسيطة التي لا يلتفت إليها أهالي المنطقة فلا يفكرون في تسجيلها في أعمالهم الأدبيَّة.

وتفيد بعضُ مقالاتِ الكتاب أنَّ أهالي مكة وتجار الكتب كانوا يُنظِّمون سوقًا لبيع الكتب المخطوطة وشرائها في الحرم المكيِّ، وقد كتبَ الشيخ المحدث عن هذا السوق قائلًا: "إنَّ الناسَ معتادون على إقامة معرض الكتاب في داخل الحرم نفسه بعد الانتهاء من مناسك الحج"، ويتضح من التفاصيل التي ذكَرها الشيخ أنَّ معرض الكتاب كان يؤدي إلى تجمُّع الناس وازدحامهم في داخل الحرم المكيِّ وكان مثل هذا التجمع يؤدي في كثير من الأحيان إلى خلْق جوٍّ من الصخب والضجة والضوضاء مما ينافي السكينة الموجودة بالحرم، لدرجة أنه - كما كتب عن نفسه - بكي مرةً بمرارة لما رآه يتسبب به الناس من صخب وفوضى تؤثر في قدسيَّة المكان[١٨٤].

وهنالك إشاراتٌ أخرى موجودة في الكتاب تفيد بوجود طلبٍ شديد على الكتب المخطوطة ونسخِها فإلى جانب الكوادر الخاصة من الناساخين الذين كانت لهم حلقاتٌ خاصة لعمليَّة نسخ الكتب كان بعض العلماء الصوفيَّة مثل الشيخ علي المتقي والشيخ عبد الوهاب، اللذين كانا يتكسبان أرزاقهما من خلال نسخ الكتب في بداية أمرهم، ويعمل الكثير من النساخ تحت رعايتهم وإشرافهم[١٨٥].

وهنالك مقالاتٌ عديدةٌ تفيد بأنَّ العلماء المهتمين بالكتب المخطوطة يشترون الكتبَ بأسعارٍ غالية[١٨٦]، وقد ذكرتُ في الصفحاتِ السابقة أنَّ الشيخ علي المتقي اشترى كتابَ **"المواهب اللدنيَّة"** بثمَنٍ غالٍ[١٨٧]، وتفيد مقالاتٌ أخرى بأنه كان يشتري الكتبَ المخطوطة مهما ارتفعت أثمانُها ويرسلها إلى الهند على حسابه[١٨٨]. وكان الشيخ ملّا عليّ القاري يُعَدُّ من كبار الخطاطين الرائعين، وكُتبه المنسوخة تباع بثمنٍ مرتفع

١٨٤- المصدر السابق، ص٣٣٥.

١٨٥- انظر: **زاد المتقين**، ص٩٥-١٣٧-١٣٨-١٧٩.

١٨٦- المصدر السابق ص١٠٠-١٠٢.

١٨٧- المصدر السابق، ص١٠١.

١٨٨- المصدر السابق، ص٩١-١٠٢.

جدًا نسبيًا عن أسعار السوق؛ وذلك بسبب روعتها وجمالها ودقّتها.[١٨٩]

إلى هنا تنتهي هذه الرحلة العلميَّة، وأودُّ أنْ أنهي كلامي بالقول، إننا نستطيع من خلال تحليل المواد الموجودة في الكتاب المذكور للشيخ عبدالحق المحدث الدهلوي أنْ نرى لمحات موثَّقة عن الحياة العلميَّة والدينيَّة في الحرميْن الشريفيْن خلال تلك الحقبة التاريخيَّة المهمة. وقد لا يقبل المرءُ أو قد لا يتفق فكرُه مع كثير من الأحداث والوقائع والقضايا المذكورة فيه، ولكنه ليس من الضروريِّ أنْ نتفق مع الماضي لفهمِ ما حدث على أرض الواقع إنما نحن بحاجةٍ لفهم الماضي عبر تلك الأحداثِ؛ لكي نتمكنَ من تجنُّب ارتكابِ الأخطاء نفسها.

نتائجُ مهمةٌ

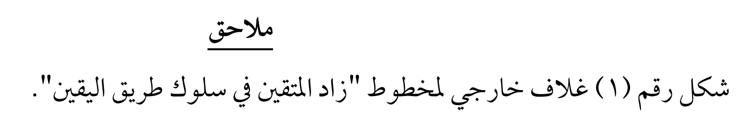
إنَّ التمعن فيما جاء في الكتاب، والتعايشَ الزمنيَّ مع الأحداثِ والوقائعِ قد أفضى بنا إلى نتائجَ كثيرة ومتنوعة ومهمة، ويمكن تلخيصُ أبرز النتائج المهمة التي توصلتُ إليها من خلال هذه الرحلة العلميَّة فيما يلي:

- كان الحرمان الشريفان من أكبر المراكز الدينيَّة والعلميَّة عبر العصور، وكان الناس يشدّون رحالهم إليهما من كلِّ فجٍّ عميق؛ لأداء مناسكِ الحجِّ والعمرة، ولاكتساب العلم والمعرفة. وقد تطوَّرَت العلاقاتُ الدينيَّة والثقافيَّة بين الهند والجـزيرة العربيَّة خصوصًا في القرنيْن التاسع والعاشر الهجريَيْن، حيث تدفقَت الرحلاتُ العلميَّة من جانب علماء الحجاز إلى الهند للإسهام في انتعاش الحياة العلميَّة المتدهورة فيها، وهو الأمرُ الذي أدى إلى ترحال كثير من العلماء الهنود لاسيما المحدّثين منهم إلى الحرميْن الشريفن لتحصيل العلوم والفنون خصوصًا علومَ القرآن والحديث، وفي طليعة أولئك العلماء الشيخُ عبدالحق المحدث الدهلويّ الذي سافر إلى الحجاز، وقضى فيه أربع سنوات، ووثَّق الحياة الدينيَّة والعلميَّة في الحرميْن كما شاهدها في أثناء وجوده هناك.
- ويفيد البحث بوجود عدد كبيرٍ من العلماء والطلاب الذين استقرّوا في الحرميْن الشريفيْن لتحقيق أهدافهم الدينيَّة والعلميَّةٍ والروحيَّة.
- وتوحي الأحداثُ المذكورة في البحث بشيوع مُناخ صوفيٍّ خالص منذ البداية إلى النهاية؛ لأنَّ معظم العلماء كانوا ينتمون إلى العديدِ من الطرق الصوفيَّة، ويظهر من نشاطاتهم العلميَّة والدينيَّة،

١٨٩- المصدر السابق، ص٩١.

أنهم كانوا من الزُّهّاد والعُبّاد، وهم الذين شكَّلوا العمودَ الفقريَّ للحركة العلميَّة آنذاك.

- ويعالج البحثُ كثيرًا من الموضوعاتِ المتعلقة بخوارقِ العلماء الصوفيَّة وكراماتهم وإلهاماتهم وغيبياتهم، والتي يذكرونَ قصصًا حولها في الحلقاتِ العلميَّة.
- ويـزودنا الكتابُ بالمعلوماتِ المفيدة عن العديد من العلماء والصوفيَّة الذين كان لهم صيتٌ بعيدُ المدى في العلم والسلوك والتزكية، والذين قدموا من جميع البلدان الإسلاميَّة وغير الإسلاميَّة إلى الحرميْن لقضاء مدة معينة أو للمجاورة الدائمة.
- تركز مقالاتُ الكتاب في كثيرٍ من الأحيان على ذكرِ اهتماماتِ العلماء والصوفيَّة باكتساب العلم والمعرفة في العلوم الإسلاميَّة، وانشغالهم بالمواد الدينيَّة وعلى رأسها علومُ الحديث إلى جانب ممارسة نشاطات السلوك والتزكية.
- ويظهر من خلال مقالاتِ الكتاب وجود كوادر مؤهلة خاصة يعقدون حلقاتٍ داخل الحرميْن الشريفيْن وخارجهما، تقوم على تدوين الكتب ونَسخها.
- ويوفر لنا الكتابُ المعلوماتِ القيمة عن مشاركة العلماء المستقرين بصورة دائمة في الحرميْن الشريفيْن في دعم الحركة العلميَّة من خلال عقْد المجالس والدروس العلميَّة المتنوِّعة في المسجد الحرام، والمسجد النبويِّ.
- ويقدِّم الكتابُ قائمة مفيدة جدًا للمعرفة عن تراجم العلماء الموسوعيين من البلدان الإسلاميَّة خصوصًا مصر والشام والهند الذين ذاع صيتُهم بسبب تميُّزهم العلميِّ والمعرفيِّ.
- ويزوِّدنا الكتابُ بمعلومات عن وجود مذاهب فقهيَّة وطرق صوفيَّة عديدة، ويعرض لأعلامها ونشاطاتهم في سبيل نشْر أفكار المذاهب والطرق المعنيَّة، وعلاقتهم مع بعضهم بعضًا.
- يتضح لنا من خلال البحث في الكتاب مدى اهتماماتِ أهالي الحرميْن الشريفيْن بإقامة معرض الكتاب في الحرم المكيِّ إثر نهاية موسم الحج، مع الإشارة إلى حِرص العلماء والصوفيَّة على اقتناء الكتبِ بأثمانٍ غالية.
- هذا، بالإضافة لنتائج أخرى يجدها المُطَّلِع على البحث الذي بذلتُ فيه مجهودًا كبيرًا في الإحاطة بكافة المعلوماتِ المهمة المذكورة في الكتاب المعنيّ، والكمالُ لله وحده، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلتُ وإليه أنيبُ.

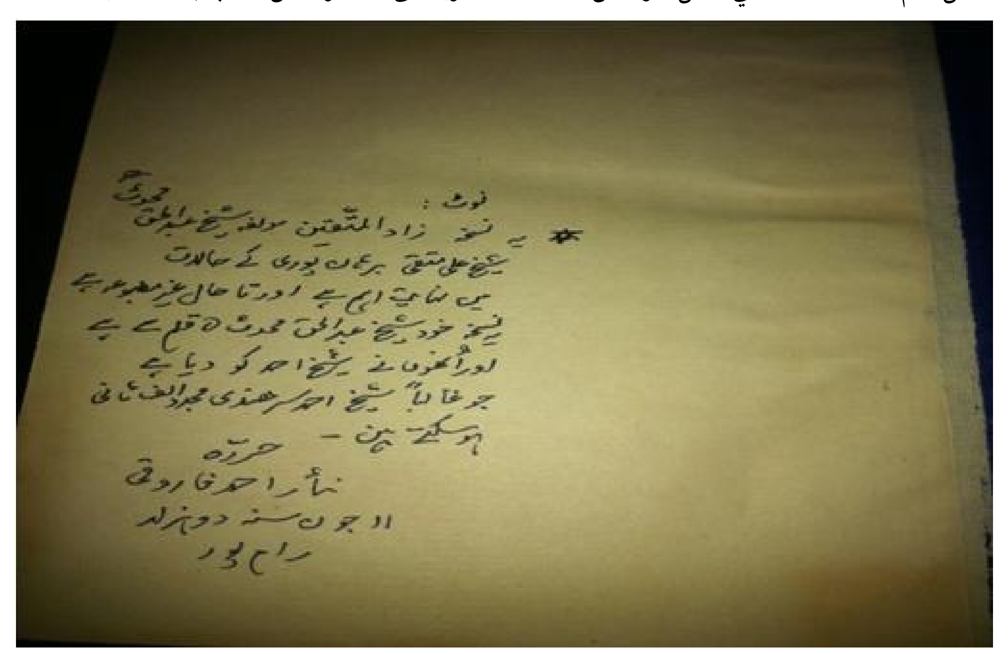


ملاحق

شكل رقم (١) غلاف خارجي لمخطوط "زاد المتقين في سلوك طريق اليقين".



شكل رقم (٢) غلاف داخلي يحمل جزءاً من الملاحظة المكتوبة على المخطوط من جانب إدارة المكتبة

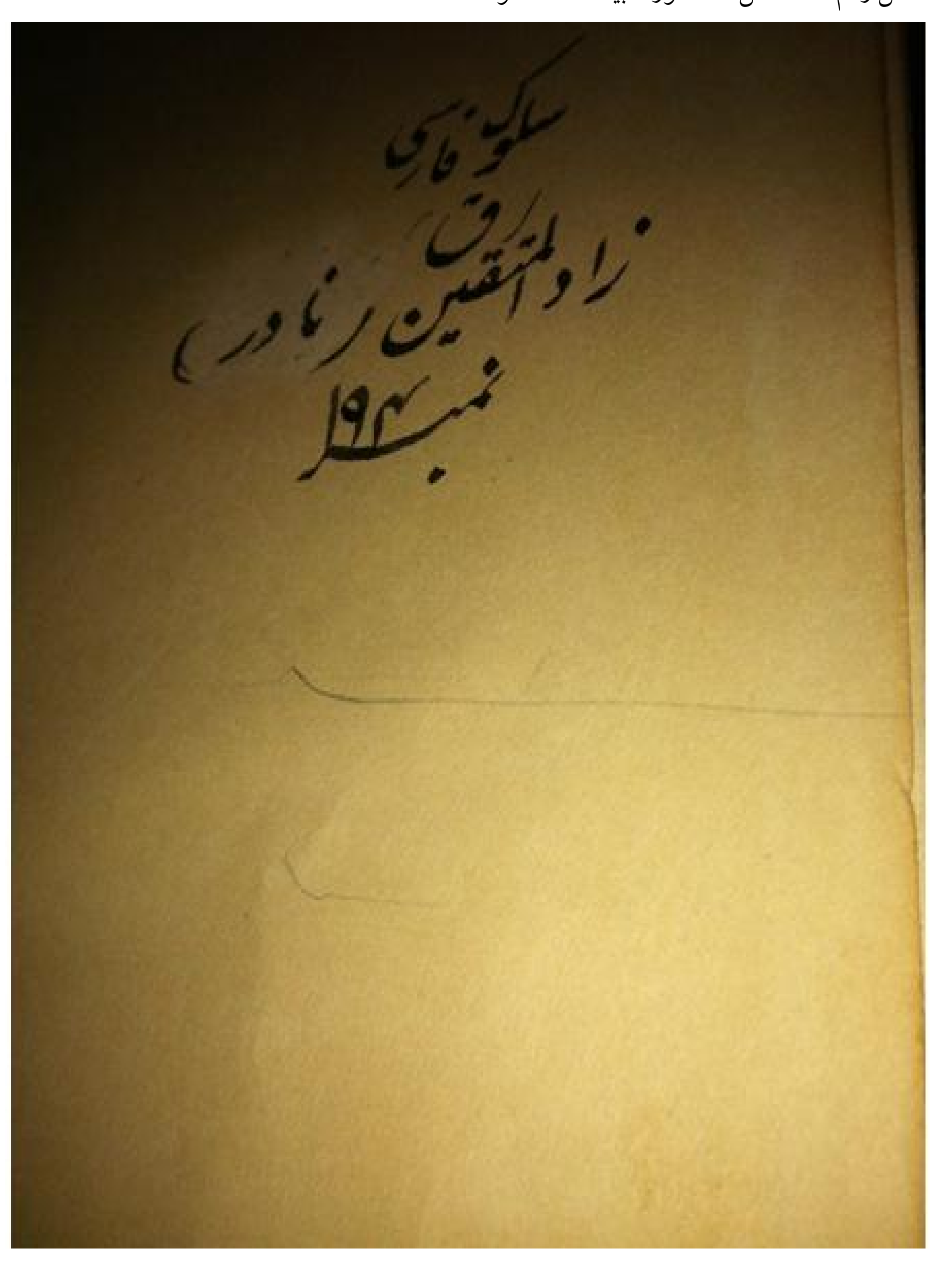


نوٹ :

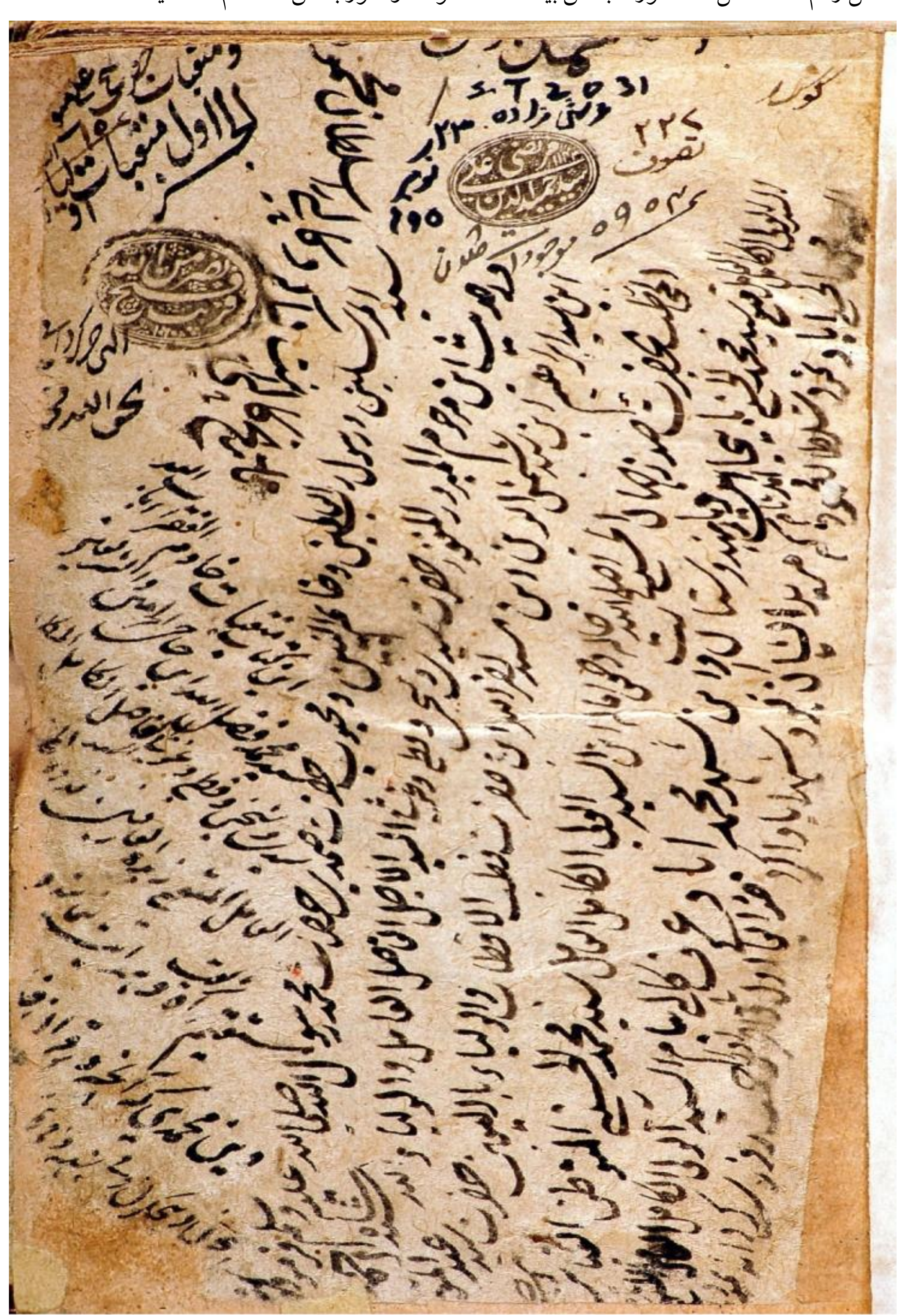
* یہ نسخہ زاد المتقین مؤلفہ شیخ عبد الحق محدث دہلوی
شیخ علی متقی برہان پوری کے حالات
میں نہایت اہم ہے اور تا حال غیر مطبوعہ ہے
نسخہ خود شیخ عبد الحق محدث کے قلم سے ہے
اور انھوں نے شیخ احمد کو دیا ہے
جو غالباً شیخ احمد سرہندی مجدد الف ثانی
ہو سکتے ہیں ۔

حررہ
نثار احمد فاروقی
۱۱ جون سنہ دو ہزار
رام پور

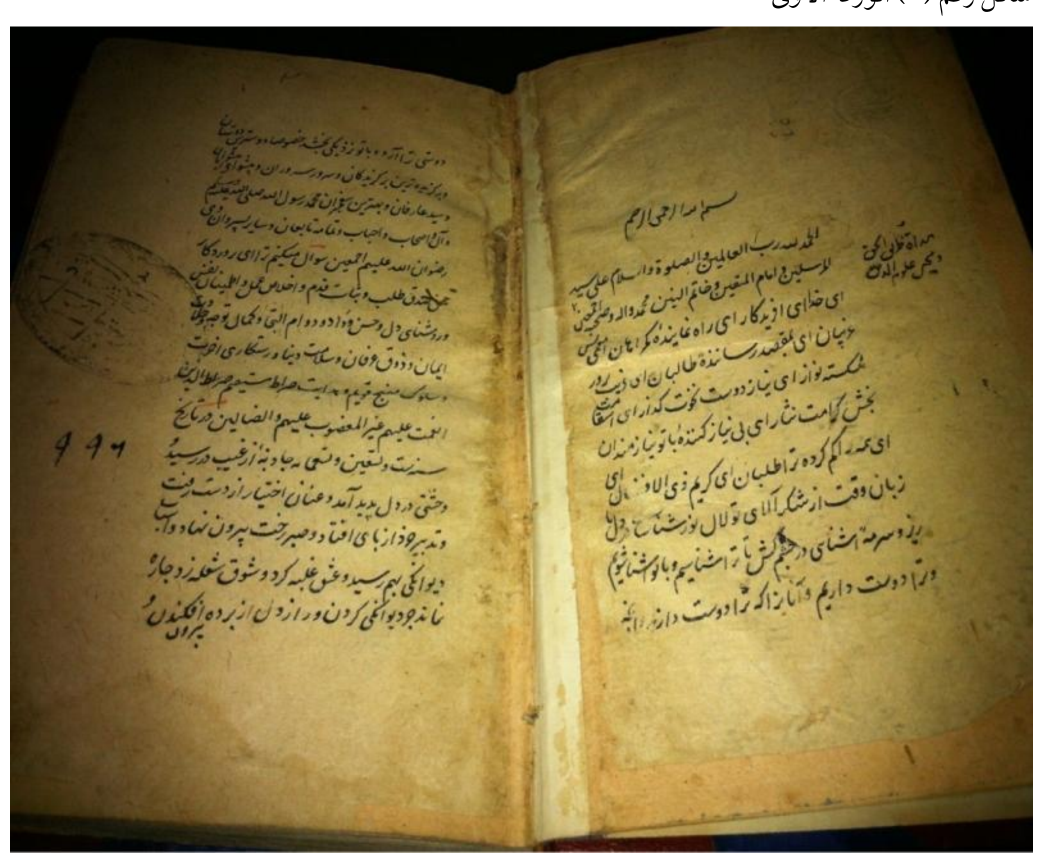
شكل رقم (٣) تحمل هذه الورقة بيانات المخطوط



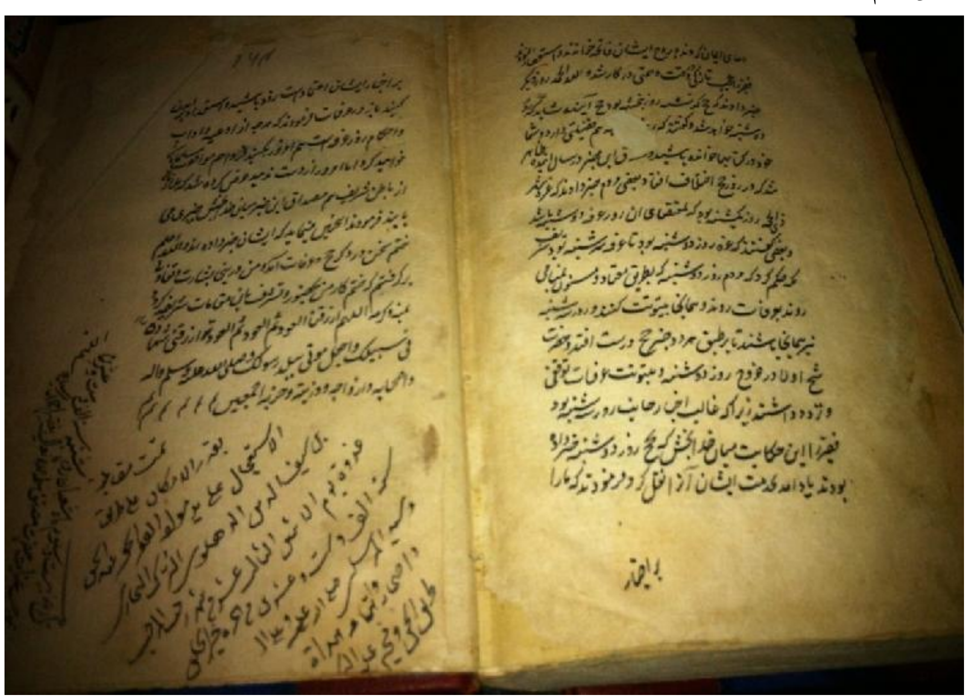
شكل رقم (٤) تحمل هذه الورقة بعض بيانات المخطوط، وصور بعض الأختام للملكيَّة



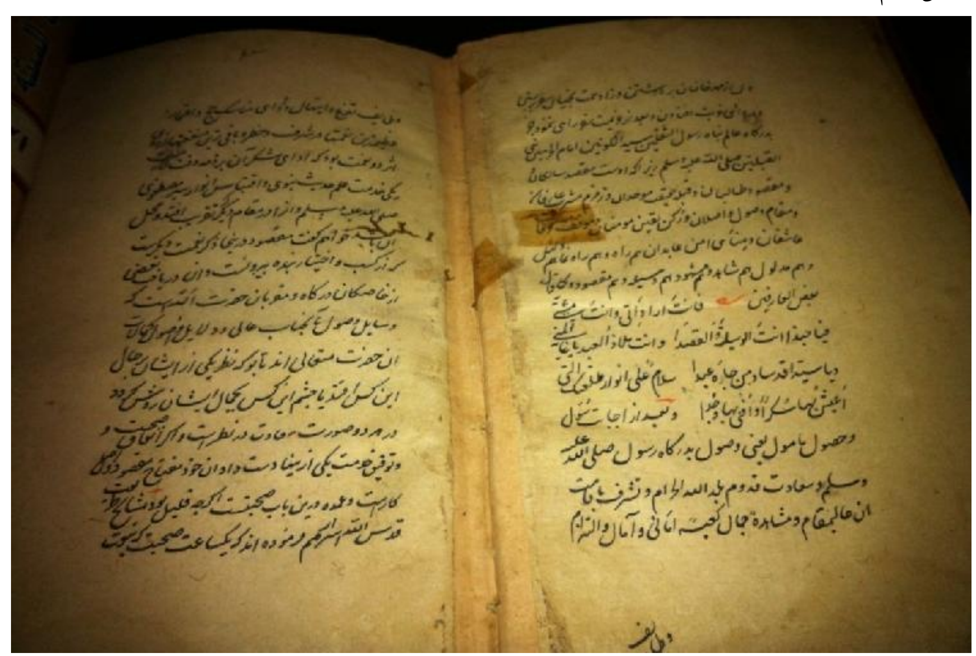
شكل رقم (٥) الورقة الأولى



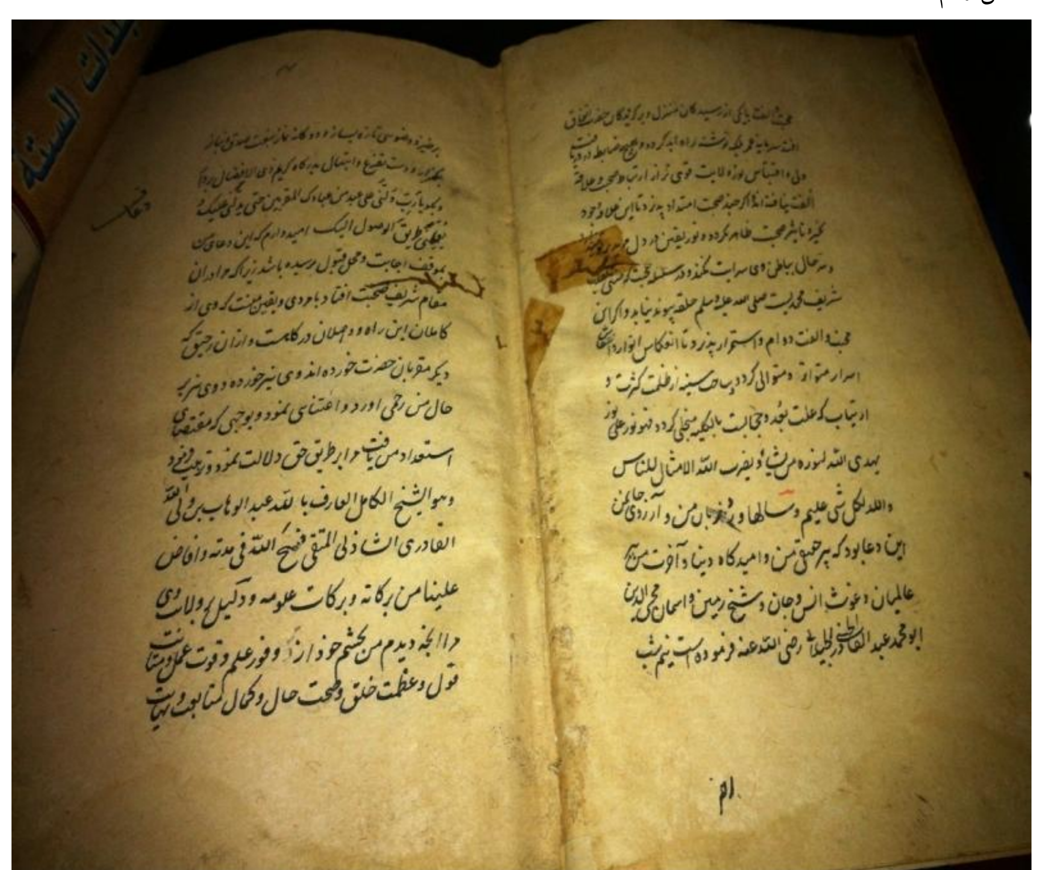
شكل رقم (٦)



شكل رقم (٧)

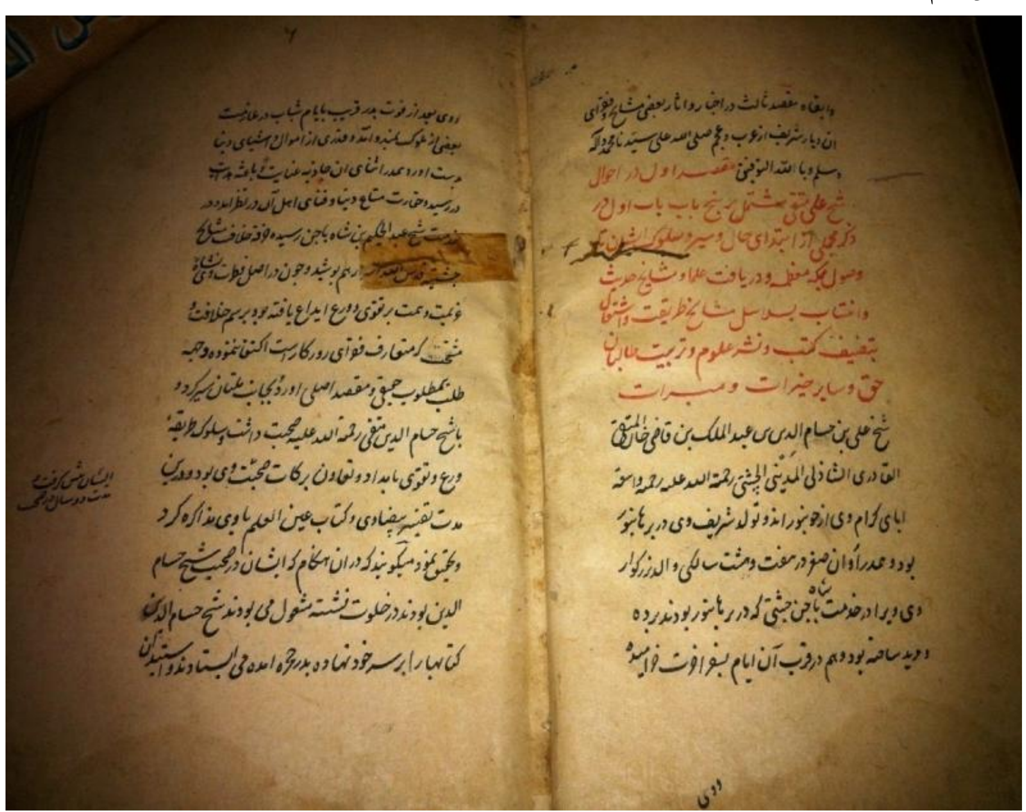


شكل رقم (٨)



شكل رقم (٩)

شکل رقم (۱۰)


وابقاء مقصد ثالث در اخبار و آثار بعضی مشایخ فقرای
آن دیار شریف از عرب و عجم صلی الله علی سیدنا محمد و آله
وسلم وبالله التوفیق مقصد اول در احوال
شیخ علی متقی مشتمل بر پنج باب باب اول در
ذکر مجملی از ابتدای حال و سیر و سلوک ایشان تا
وصول بمکه معظمه و دریافت علما و مشایخ حرمین
وانتساب بسلاسل مشایخ طریقت و اشتغال
بتصنیف کتب ونشر علوم و تربیت طالبان
حق وسایر خیرات و مبرات
شیخ علی بن حسام الدین بن عبدالملک بن قاضی خان المتقی
القادری الشاذلی المدینی الچشتی رحمة الله علیه رحمة واسعة
آبای کرام وی از جونپور اند و تولد شریف وی در برهانپور
بود و عمر او آن صنو در هشت و هشت سالگی والد بزرگوار
وی وی را در خدمت شاه باجن چشتی که در برهانپور بودند برده
و مرید ساخته بود و هم در قرب آن ایام [illegible] وفات فرموده

و وی بعد از فوت پدر قریب بایام شباب در ملازمت
بعضی از ملوک بمانده اند و قدری از اموال و اشیای دنیا
بدست آورده و بعد اثنای آن جاذبه عنایت ازلی بافته بدست
در رسیده و حقارت متاع دنیا و فنای اهل آن در نظر آمده در
خدمت شیخ عبدالحکیم بن شاه باجن رسیده و خرقه خلافت مشایخ
چشتیه [illegible] پوشید و چون در اصل فطرت [illegible]
و همت بر تقوی و ورع ایداع یافته بود بر رسم خلافت و
مشیخت که متعارف فقرای روزگار است اکتفا ننموده وجهه
طلب بمطلوب حقیقی و مقصد اصلی او را بجانب ملتان سیر کرد و
با شیخ حسام الدین متقی رحمة الله علیه صحبت داشت و سلوک طریقه
ورع و تقوی بامداد و معاون برکات صحبت وی بود و در آن
مدت تفسیر بیضاوی و کتاب عین العلم با وی مذاکره کرد
و تحقیق نمود میگویند که در آن هنگام که ایشان در صحبت شیخ حسام
الدین بودند در خلوت نشسته مشغول می بودند شیخ حسام الدین
کتابها را بر سر خود نهاده بدر حجره آمده می ایستادند و استعداد ایشان

AL-DIRĀSĀT AL-ISLĀMIYYAH

Volume: 54 July-December, 2019 AD/ Shawwāl 1440 AH-Rabī'al-Thānī 1441 AH Issues: 3-4



Transliteration system followed in this journal

طريقة كتابة الحروف العربية (والأردية والفارسية) بالحروف الإنجليزية المتبعة في هذه المجلّة

ا	a	ڈ	ḍ	غ	gh	بھ	bh
ب	b	ذ	dh	ف	f	پھ	ph
پ	p	ر	r	ق	q	تھ	th
ت	t	ڑ	ṛ	ک	k	ٹھ	ṭh
ٹ	ṭ	ز	z	گ	g	جھ	jh
ث	th	ژ	z̲	ل	l	چھ	ch
ج	j	س	s	م	m	دھ	dh
چ	ch	ش	sh	ن	n	ڈھ	ḍh
ح	ḥ	ص	ṣ	ں	n	ڑھ	ṛh
خ	kh	ط	ṭ	ه	h	کھ	kh
د	d	ظ	ẓ	ی	y	گھ	gh

ا (ء), when it appears at the middle or end of a word, is transliterated as elevated comma (') followed by the letter representing the vowel it carries. However, when أ appears at the beginning of a word it will be represented only by the letter representing the vowel it carries.

ع is transliterated as elevated inverted comma (ʻ).

ض as an Arabic letter is transliterated as (ḍ), and as a Persian/Turkish/Urdu letter as (ż).

و as an Arabic letter is transliterated as (w), and as a Persian/Turkish/Urdu letter is transliterated as (v).

ـة is transliterated as (ah) in pause form and as (at) in construct form.

Article ال is transliterated as (al-) whether followed by a moon or a sun letter, however, in construct form it will be transliterated as ('l).

Long Vowels

ا		ā
آ		ā
ی	ـِـ	ī
و	ـُـ	ū
و	(*Urdu*)	ō
ے	(*Urdu*)	ē

Short Vowels

ـَـ	a
ـِـ	i
ـُـ	u

Diphthongs

و	ـَـ	(*Arabic*)	aw
		(*Persian/Urdu*)	au
		(*Turkish*)	ev
ی	ـَـ	(*Arabic*)	ay
		(*Persian/Urdu*)	ai
		(*Turkish*)	ey

Doubled

وّ	ـُـ	(*Arabic*)	uww
		(*Persian*)	uvv
		(*Urdu*)	uvv
یّ	ـِـ		iyy

و as a Persian/Urdu conjunction is transliterated as (–o) whereas as an Arabic conjunction و is transliterated as (wa).

Short vowel (ـِـ) in Persian/Urdu possessive or adjectival form is transliterated as (– i).

AL-DIRĀSĀT AL-ISLĀMIYYAH

QUARTERLY RESEARCH JOURNAL

ISSN: 0002-399X

(HEC Recognized)

Listed in Ulrich's International Periodicals Directory under title No. ID: 32489

Volume: 54 July– December 2019 AD/Shawwāl 1440AH –Rabī 'al-Thānī 1441AH Issues: 3-4

For Enquiries
Tel: +92-51-2254874, 9261761/Ext. 322, #334
E-mail: dirasat@iiu.edu.pk

Publication Section
ISLAMIC RESEARCH INSTITUTE
International Islamic University.
Faisal Masjid Campus, P. O. Box: 1035, Islamabad
iri.publications@iiu.edu.pk

Printed at: Islamic Research Institute Press, Islamabad.

INTRODUCTION

Al-Dirāsāt al-Islāmiyyah is a leading Pakistani refereed research journal published by Islamic Research Institute (IRI) since 1965 in Arabic language. It is a quarterly journal dedicated to provide original research articles in Islamic Studies as well as analysis and commentary on issues related to Islam and Muslim *ummah*. This journal brings together many of today's distinguished scholars and thinkers, making their research and commentaries available not only to specialists but to a wider audience of readers in Arabic language.

Al-Dirāsāt al-Islāmiyyah is an interdisciplinary journal of peer-reviewed research and informed opinion on various intellectual and academic issues in areas of Islamic Studies. Its readership includes scholars, practitioners, religious leaders, policy makers, journalists, and general readers. Intellectually rigorous yet accessible and practical, *al-Dirāsāt al-Islāmiyyah* provides an influential outlet for original scholarship in the Islamic studies, social sciences, law, and humanities, as well as a lively forum for commentary on current issues from Islamic perspective. Research articles published in this journal undergo initial editorial scrutiny, double blind peer-review by at least two experts of the field, and further editorial review. Some past issues of this journal have been dedicated exclusively to particular themes.

Indexation of *al-Dirāsāt al-Islāmiyyah*

Al–Dirāsāt al–Islāmiyyah is recognized as one of the leading research journals of Islamic studies and its allied disciplines in the academic world. This research journal has set international academic standards for the last six decades. It is recognized by the Higher Education Commission (HEC) of Pakistan in "Y" category, vide Notification No.1 (133) R&D/RJ/HEC/2017/148, dated: August 19, 2019. Moreover, it is indexed or abstracted by following agencies:

1. The journal is abstracted in *al-Manhal*. Through this database, it is also enlisted in EDS (EBSCO Discovery Services) and SUMMON™ as they are partners of *al-Manhal*.
2. The journal is indexed by Australian Islamic Library.
3. The journal is indexed by Islamic Research Index, Allama Iqbal Open University (AIOU), Islamabad vide letter dated 26.01.2015.
4. The journal is enlisted in Ulrich Directory of Periodicals vide ID No. 32489.
5. The abstracting and indexation of *al–Dirāsāt al–Islāmiyyah* in ALTA (American Library of Theology Association) are under process.
6. The EBSCO host is also considering the request of Islamic Research Institute (IRI) for including *al-Dirāsāt al-Islāmiyyah* in its database.

GUIDELINES FOR CONTRIBUTORS

The Editorial Board requests the respected contributors to note/ observe the following requirements:

1. An abstract written in English, ranging from 150 to 200 words, should be submitted along with the paper.
2. The paper submitted for publication must be original, un-published, and must not be extracted from any published book/dissertation.
3. The paper must fulfill all the well-known standards of original academic research.
4. Citations must be provided in the continuous footnotes on the same page.
5. The paper should be composed in 12/14 point size in Ms Word format. Papers in PDF are not accepted.
6. Citations should be in accordance with *al-Dirāsāt al-Islāmiyyah*'s prescribed format (i.e., author's name, book title, publisher, place and date of publication, vol. no., page no.).

   (for example, S. M. Azizuddin Husain, *Structure of Politics under Aurangzeb 1658-1707*, Kanishka Publishers, New Delhi, 2002, p. 101).
7. A brief CV may be provided if an author submits a paper for the first time.
8. All papers undergo an initial editorial scrutiny. Thereafter, these are sent to two experts in the field for their critical assessment. The Editorial Board, however, takes the final decision to publish a paper or otherwise and is not bound to explain the reasons for its decision.
9. The journal reserves the right to change, modify, or edit the papers before publishing them or request the writers to do so where it deems necessary.
10. The authors are immediately informed about the receipt of their papers by the journal. However, decision to publish/reject the papers is communicated after the due process of evaluation is completed.
11. No paper should exceed fifty pages, nor should be less than twenty pages, each page having around 330 words.
12. Opinions expressed in the papers are the responsibility of the writers alone and do not represent the policy of the journal.
13. Each contributor is entitled to receive 25 off-prints along with a copy of the journal.

Some Sample Citations

- **Reference from the Qur'ān**
  Name of the *sūrah* and number of the verse.

- **Reference from Classical Ḥadīth Compilations**
  Muḥammad b. Ismā'īl al-Bukhārī, ***al-Jāmi' al-Saḥīḥ***, Kitāb al-Dhabā'iḥ wa 'l-Ṣayd, Bāb Akl Kull Dhī Nāb mina'l-Sibā', Ḥadith:5530, Riyadh: Dār al-Salām, 1417 AH, vol. 2 p. 234.

- **Books** – Include title, subtitle, series title, editor/translator (if any). If there are multiple authors listed on the title page, include up to three names in full; for more than three, include the first followed by et al. If there are more than three editors, include only the first and et al.

  Example:
  Abū 'l-Sa'ūd Muḥammad b. Muḥammad al-'Amādī, *Irshād al-'Aql al-Salīm ilā Mazāyā 'l-Qur'ān al-Karīm*, (Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī 1440 AH) n.d., vol. 4, p. 160.

- **Articles** – Use author and article title as they appear on the first page of the article (if not given in full there, then use table of contents' version). If the month is given on the journal, include it in this form: author, "title," *journal*, vol. 22, no. 3 (March, 2002): 74-76; if only the year is given, include the journal's volume and number in this form: author, "title," *journal*, vol. 22, no. 3 (2002): 74-76.

- **Online Journals**
  Gueorgi Kossinets and Duncan J. Watts, "Origins of Homophily in an Evolving Social Network," *American Journal of Sociology* 115 (2009): 411, accessed February 28, 2010, doi:10.1086/599247.

- **Websites**
  "McDonald's Happy Meal Toy Safety Facts," McDonald's Corporation, accessed July 19, 2008,
  http://www.mcdonalds.com/corp/about/factsheets.html.

- **Encyclopedia**
  Ch. Pellat, "Ḥayawān," in *The Encyclopaedia of Islam*, ed. B. Lewis et al., Leiden: E. J. Brill, 1986, vol. 3, p. 307.

COPYRIGHT/LICENSE REQUIREMENTS

To view the previous issues of *al–Dirāsāt al–Islāmiyyah*, follow the given link please: http://irigs.iiu.edu.pk:64447/ojs/index.php/aldirasatalislamiyyah

Subscription Rates

	(For Institutions)		(For Individuals)	
	Annual	Single	Annual	Single
In Pakistan	Rs. 450	Rs. 150	Rs. 400	Rs. 125
Outside Pakistan	US$. 170	US$. 60	US$. 120	US$. 40

Contact Information

All correspondence should be directed to:

The Editor
Al–Dirāsāt al–Islāmiyyah
Islamic Research Institute, Faisal Mosque Campus
International Islamic University, Islamabad
(051-2254874, 9261761/Ext: 322,334
dirasat@iiu.edu.pk

CONTENTS

CONTRIBUTORS

Sahibe Alam Al-Azmi Al-Nadwi
Research Associate,
Hassan Bin Muhammad Center for Historical Studies, Qatar
****

Sarah Bint Abdul Mohsen Ben Said
Assistant Professor of Islamic Jurisprudence,
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia.
****

Zakira Jahantab
Lecturer, Faculty of Arabic,
International Islamic University, Islamabad, Pakistan.
****

Farah Naz
PhD Scholar, Faculty of Arabic,
International Islamic University, Islamabad, Pakistan.
****

Sherzod A. Pulatov
PhD Scholar, Faculty of Shariah and Law,
International Islamic University, Islamabad, Pakistan.
****

Madiha Sadiq
Lecturer, Faculty of Arabic,
International Islamic University, Islamabad.
****

Muhammad Asad
Visiting Faculty Member, Faculty of Shariah and Law,
International Islamic University, Islamabad.
****

Rabia Rani
PhD Scholar, Faculty of Arabic,
International Islamic University, Islamabad, Pakistan.
****

Muhammad Ibrahim Sa'ad Al-Naadi
Associate Professor, Faculty of Shari'ah and Law,
Al-Azhar University, Egypt and Internayional Islamic University,
Islamabad, Pakistan.
****

Religious and Academic Life in the Two Holy Mosques during the Tenth Century AH: A Historical Study in Light of the Book "*Zād al-Muttaqīn fī Sulūk Ţarīq al-Yaqīn*"

Sahibe Alam Al-Azmi Al-Nadwi∗

The main purpose of this study is to investigate the religious and cultural circumstances in the Two Holy Mosques during the tenth century AH in light of the book "*Zād al-Muttaqīn fī Sulūk Ţarīq al-Yaqīn*," compiled by Shaikh ʻAbd al-Ḥaqq Muḥaddith Dihlavī in Persian language, during his stay in Mecca and Medina. The paper deals with many topics such as the Shaikh's biography and intellectual activities during his stay in India and in the Two Holy Mosques. It also aims to highlight his role in promoting the Islamic theology and the science of *ḥadīth* in India. Moreover, it sheds light on the intellectual and religious works of the scholars and mystics who lived in the Two Holy Cities, in addition to many scholars and Sufis from Hejaz, Arab, and other Muslim countries. It also describes the religious environment of the Two Holy Mosques in the 10th century AH. Finally, the research discusses relations between religious scholars and mystics residing in the Two Holy Mosques and their intellectual, academic, and social interaction.

Keywords

Holy Mosques, Biographies, History, Religious Activities, Spiritual Life

---

∗ Research Associate, Hassan bin Muhammad Center for Historical Studies, Qatar.

The Effect of moving Tongue and Lips on Certain Sharīʻah Rulings

Sarah Bint Abdul Mohsen Ben Said*

This research work relates to the differences between verbal reading and just thinking of or seeing a text and their implications with respect to validity or otherwise of certain rituals. In Islamic law just thinking of a text or seeing it without moving tongue or lips is not considered proper reading with respect to the non-disabled persons and does not fulfill the requirement where proper reading is required. Therefore, it is necessary to move the tongue and lips during the recitation of the Qur'ān in the prayer, which is an obligatory part of the prayer. Speech-impaired persons and those who are unable to move their tongues are, however, exempted from this obligation. The objective of this research is to clarify the meaning of proper reading and differentiate it from just thinking of or seeing a text and its implications for certain Islamic obligation. The research methodology adopted in this research work is descriptive and analytical and entails of library research.

Keyword

Reading, Silence, Tongue, Validity, Islamic Law

---

* Assistant Professor of Islamic Jurisprudence, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

An Analytical Study of Some Aspects of Modern Arab Theater in Egypt

Zakira Jahantab∗

This study deals with the development of modern Arab theater. Egypt played a leading role in the emergence of modern Arab theater. The study focuses on important pioneers of this genre of modern Arabic literature in Egypt to the second decade of the twentieth century. Egypt played an important role in continuation and progress of modern Arab theater, because it enjoyed political and intellectual freedom. The Egyptian playwrights generated a fruitful Arab theater movement whose influence reached the neighboring Arab countries beyond the borders of Egypt. The present article discusses some technical aspects of modern Arab theater in light of following Egyptian plays:١) *Waṭanī‘Akkā* by ‘Abd al-Raḥmān al-Sharqāwī; 2) *Sha‘b Allāhal-Mukhtār* by‘Alī Aḥmad Bākathīr; 3) *Maqhā’l-Ḥurriyyah* by Jamāl‘Umar; 4) *Muḥākamatal-Aswad al-‘Anasī* by Najīb al-Kaylānī.

Keyword:

Arabic Literature, Egypt, Dialogue, Narrative, Characters, Theater

∗ Lecturer, Faculty of Arabic, International Islamic University, Islamabad, Pakistan

Textual Relation to the Pronouns in the Qur'ān as Applied by al-Zamakhsharī and Abū Ḥayyān: A Semantic Syntax Study

Farah Naz*

The present research aims at elaborating the structural patterns of the sentence and analysing the pronouns and semantic links in the text of the Qur'ān, as applied by Maḥmūd b.ʻUmar al-Zamakhsharī (d. 467 AH) and Abū Ḥayyān Muḥammad b. Yūsuf (d. 654 AH) in their well-known Qur'ānic commentaries. They are considered authority in this regard. In Arabic language, the syntax studies the relation between the words in a structure. The semantic link of the pronouns is an important area of research. This includes the link of relevant sentence with its relative pronoun, the link of predicate-clause with its nominal subject, the link of clause describing situation with its noun, the link of the adjective-clause with its noun, and the link of explanatory sentence with its passive. The method of this study is textual, analytical, and critical. Moreover, related primary and secondary sources have been consulted.

Keywords

Qur'ān, Textual Study, Semantics, Syntax, al-Zamakhsharī, Abū Ḥayyān

---

* Ph.D. Scholar, Faculty of Arabic, International Islamic University, Islamabad, Pakistan

The Nature of Laws Related to Islamic Banking System in Kazakhstan

Sherzod A. Pulatov*

This article highlights the essence of laws regarding Islamic banking system in Kazakhstan. The Islamic financial system has proved a great success in a number of countries, including Saudi Arabia and Malaysia. I selected in this research a feasibility study of the use of the financial means adopted by Islamic financial institutions operating in Kazakhstan. The Communist ideology dominated Muslims of the Central Asia and influenced their ideological and cultural thought. However, since the demise of the USSR, Muslims are gradually seeking to revive Islamic culture. These efforts include establishing Islamic financial system. The implementation of Islamic banking system in Kazakhstan has led to several changes, such as promulgation and amendment of tax and banking laws in 2009. This article studies the laws related to Islamic banking system in Kazakhstan.

Keyword

Islamic Banking, Laws, Financial System, Kazakhstan

---

* PhD Scholar, Faculty of Shariah and Law, International Islamic University, Islamabad, Pakistan.

Difference of the *Dhū ’l-Ḥāl* (the Word Described by the *Ḥāl*-Accusative) in Terms of Nominative and Accusative Forms in the Qur’ān

Madiha Sadiq∗

The Qur’ān is one of the most important sources of Arabic language. The present article discusses the difference of the *dhū ’l-ḥāl* (the word described by the *ḥāl*-accusative) in terms of nominative and accusative forms in the Qur’ān and highlights its semantic effects on understanding of the Qur’ān. The article contributes to this syntactic issue, shows how a single verse contains multifarious, profound, eloquent meanings.This article comprises an introduction and three sections. The introduction briefly elaborates the concepts of the *ḥāl*-accusative and the *dhū ’l-ḥāl* (the word described by the *ḥāl*-accusative) in Arabic language. The first section discusses difference of the *dhū ’l-ḥāl* when the *ḥāl*-accusativeis singular case. The second section refers to difference of the *dhū ’l-ḥāl* when the *ḥāl*-accusative is a sentence case. The last section highlights difference of the *dhū ’l-ḥāl* when the *ḥāl*-accusative is in semi-sentence case.

Keywords

Syntactic, Semantic, *dhū ’l-ḥāl*, *ḥāl*-accusative

∗ Research Investigator, Faculty of Arabic, International Islamic University, Islamabad, Pakistan.

Modern Application of the Sharīʻah Maxim "In Contracts Objectives are Considered not Words" to Financial Transactions

Dr. Muhammad Asad∗

This research explains modern application of the *sharīʻah* maxim "In contracts objectives are considered not words" to financial transactions. According to this maxim, intentions and objectives play an essential role in the legitimacy of contracts, because the validity of contracts depends on the intentions and objectives of the contractor. For this reason, classical Muslim jurists paid special attention to the above-mentioned maxim while interpreting and deriving legal rules of Islamic financial law. Moreover, they solved many legal matters based on the said maxim. This research work also elaborates modern financial transactions, which relate to this maxim. The method of discussing such issues is to examine the facts of a matter and then decide about its legal status in light of the Qur'ān, the *sunnah* of the Prophet (peace be on him), and the opinions of Muslim jurists.

Keywords

Legal Maxim, Intentions, Objectives, Contracts, Financial Matters

---

∗ Visiting Faculty Member, Faculty of Shariah and Law, International Islamic University, Islamabad.

Linguistic Differences in the Past Indefinite Tense: A Comparative Study of Arabic and Urdu

Rabia Rani∗

The present paper presents grammatical analysis and comparison between Urdu and Arabic languages with special reference to the past indefinite tense in Arabic and Urdu. Linguistics entails scientific and structural study of a language whereas grammar is a core and fundamental aspect of the linguistics. The grammatical study among different languages is also a challenging subject of linguistics. The present research shows that in Arabic the subject affects the verb whereas in Urdu the object affects the verb. It also observes that the sequence of the sentence in both the languages is different. Since Arabic is an ancient language, it has diversified grammatical rules for each word. However, Urdu came into existence through a prolonged process of borrowing alphabets, words, and phrases from different languages. Grammatical rules of Arabic specifically have precedence over those of Urdu, as the former contains detailed rules of the dual case (*muthannā*), the rules of the subject, object, and prepositions. The article discusses grammatical differences and similarities. It also refers to the order of sentences in both the languages, as each language has a special order of sentences.

Keywords

Linguistics, Grammar, Arabic, Urdu, Structure, Past Tense

∗ Ph.D Scholar, Faculty of Arabic, International Islamic University, Islamabad, Pakistan.

Genetically Modified Animal Food in Islamic Law: A Comparative Study

Muhammad Ibrahim Sa'ad Al-Naadi∗

This article aims to examine an important modern issue, which relates to genetic modification of animal food. The contemporary world has witnessed a stunning advance in the field of biotechnology and genetic engineering that led to reveal the mysteries of organism, symbols of the genetic code, and the genome of organism. Genetic engineering plays a prominent role in improving quantity and quality of foods to fulfill the food-related requirements of the ever-increasing population of the world. Furthermore, food strengthens human body and is indispensable for human life. Recent medical research shows that a significant number of diseases result from low quality foods. Therefore, an effort has been made in this research to elaborate modern issues related to genetically modified foods in light of Islamic law.

Keywords

Food, Genetic Engineering, Modification, Biotechnology, Islamic Law

---

∗ Associate Professor, Faculty of Shari'ah and Law, International Islamic University, Islamabad, Pakistan